حملة شرف الدين قراقوش المظفري على بلاد المغرب
(الأسباب - الأحداث - النتائج)
(٥٦٨ - ٦٠٩هـ / ١١٧٣ - ١٢١٣م)

د/ وائل أحمد إبراهيم
مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كليـــة دار العلـــــوم - جـــامعـــــة الفيــــوم

مقدمة :

يعتبر الحديث عن العلاقات بين المشرق والمغرب خلال القرنين السادس والسابع الهجريين من الصعوبة بمكان كونه يتعلق بالحديث عن العلاقات بين أكبر قوتين سياسيتين وعسكريتين في البلاد الإسلامية خلال تلك الفترة الزمنية كانت لكل منهما اتجاهاتها السياسية والعسكرية الخاصة بها بالإضافة إلى اختلافهما المذهبي، وهما الدولة الأيوبية التي حكمت مصر والشام والخلافة الموحدية في المغرب والأندلس.

وتعبِّر حملةُ المملوك التركي شرف الدين قراقوش التقوي المظفري على بلاد المغرب عن صورةٍ من صور المنافسة السياسية والعسكرية بين الدولتين، ورغم أن هذه الحملة قد تسببت في سوء العلاقة بين الأيوبيين والموحدين؛ فإنها في الوقت ذاته قد أظهرت بشكل واضح ما بينهما من تنافس وصراع مذهبي خفي، كما أنها وقفت حائلا دون تحقيق التعاون بين الدولتين لمواجهة العدو المشترك الذي هاجم البلاد الإسلامية خلال ذلك الوقت وهم الصليبيون رغم أن السلطان الأيوبي صلاح الدين كان قد أرسل إلى الموحدين يطلب دعمهم في ذلك في شهور عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م عندما كان الصليبيون يحاصرون مدينة عكا ببلاد الشام.

ويحاول هذا البحث أن يجيب على مجموعة من التساؤلات المهمة التي تمثل الإجابة عليها بيانا واضحا لإشكالية البحث وفكرته، ومن هذه التساؤلات: ما هي مجموعة الأسباب التي جعلت الأيوبيين يخرجون هذه الحملة تجاه بلاد المغرب؟!، وما الذي فعلته الحملة بتلك البلاد؟!. وما حقيقة العلاقة بين الأيوبيين والموحدين خلال أحداث الحملة؟!، وما النتائج التي أسفرت عنها هذه الحملة؟!.

وقد التزم البحث اتباع المنهج التاريخي القائم على وصف الحدث وتحليله ونقده إذا لزم الأمر معتمدا في ذلك على مجموعة من المصادر العربية من أهمها كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق للمنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي (ت٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) الذي جمع أخبار الحملة وتحركات قائدها سنة بعد سنة، وكذلك كتاب الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) وكتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، وغيرها من المصادر الأخرى المهمة، كما اعتمد البحث على مجموعة من كتب الرحالة والجغرافيين العرب من أهمها كتاب الرحالة التونسي أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني (المتوفى حدود ٧١٧هـ/ ١٣١٧م) والتي شملت معلومات وفيرة عن شرف الدين قراقوش وحملته على بلاد المغرب، واعتمد البحث كذلك على مجموعة من المراجع العربية والمقالات الأوربية التي ساهمت في وضع إجابة مقنعة لإشكالية البحث.

أما عن خطة البحث وعناصره فقد اقتضت طبيعة المادة العلمية المتاحة عرض الموضوع من خلال العناصر التالية:

- ترجمة شرف الدين قراقوش
- أسباب الحملة ودوافع إخراجها من مصر
- تاريخ خروج الحملة وقيادتها
- أعمال قراقوش وفتوحاته ببلاد المغرب
- تحالف شرف الدين قراقوش مع بني غانية على الموحدين وأثره
- نهاية حملة شرف الدين قراقوش على بلاد المغرب
- مقتل شرف الدين قراقوش
- نتائج الحملة
- الخاتمة
- المصادر والمراجع

والله تعالى أسأل أكون قد وفقت في هذا البحث

كما أدعوه تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن ينفعنا بما علمنا .

والله الموفق ،،،

ترجمته:

المملوك شرف الدين[1] قراقوش[2] المظفري[3] التقوي[4] نسبة إلى سيده الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الأخ الأكبر للسلطان صلاح الدين

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تصحيح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١) ١٩٨٧م، ج١٠ص١٣٦؛ التجاني: الرحلة (قام بها في البلاد التونسية والمغربية بين عامي ٧٠٦هـ- ٧٠٨هـ)، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨١م، ص١٠٣؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١) ١٩٩٧م، ج١ق١ص٦٣؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ٢٠٠٢م ، ص٧١٢.

(٢) ورد اسم قراقوش بهذا الرسم في المصادر التالية: ابن الأثير: الكامل ج١٠ص٤٧؛ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين (النورية والصلاحية) تحقيق محمد حلمي أحمد، مراجعة محمد مصطفى زيادة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بالقاهرة ١٩٦٢م، ج٢ص١٧٥؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٧م، ج١ص١٣٦؛ التجاني: الرحلة ص١٠٣؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي بالقاهرة (بدون تاريخ نشر) ج٣ص٥٣، ص٧٠؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، [ج٢٤] تحقيق حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م، ص٣٢٥؛ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٥٦م، ص١٦؛ السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٥٤م، ج٢ص١٦٠، وقد كتبه عبد الواحد المراكشي في المعجب (قراقش .... هكذا) انظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق الدكتور محمد زينهم عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع بالقاهرة، ١٩٩٤م، ص٢٣٨، وتابعه في ذلك ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المعروف باسم (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، تقديم الدكتور عبادة كحيلة –نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة ٢٠٠٧م، ج٦ص٢٢٧، وكتبه أحمد الأنصاري الطرابلسي (قره قوش) انظر كتابه: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا (دون تاريخ نشر)، ص١٣١، وأصح هذه الرسوم جميعا (قراقوش) وهي لفظة تركية معناها الطائر الأسود.

(٣) التجاني: الرحلة ص١١٤؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص٢٢٧؛ ابتسام مرعي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، نشر دار المعارف بالقاهرة، (ط١) ١٩٨٥م، ص١٤٧.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب ج١ص١٣٦؛ المقريزي: السلوك ج١ق١ص٦٥؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٤٧، ص٢١٢.

الأيوبي[١]، وأحيانا كان ينسب إلى السلطان الناصر صلاح الدين نفسه فيقال "الناصري"[٢] حيث كان شرف الدين يفخر بنسبته للسلطان الناصر صلاح الدين فكان يحب أن يقال له "قراقوش الناصري"[٣]، كما أنه كان يخطب للناصر صلاح الدين على منابر البلاد التي يفتحها ببلاد المغرب خلال حملته عليها[٤].

ويذكر بعض المؤرخين القدامى[٥] وبعض الباحثين المحدثين[٦] أن شرف الدين قراقوش كان "أرمينيا"، في حين ينسبه جمهرة المؤرخين والباحثين إلى إحدى القبائل

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١٠ص٤٧؛ أبو شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين (النورية والصلاحية)، تحقيق أحمد البيسومي، منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٢م، ج٢ص٢٩؛ التجاني: الرحلة ص١٠٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب ج١ص١٣٦؛ المراكشي: المعجب ص٢٣٨؛ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص١٦. والملك المظفر: تقي الدين عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب بن شادي صاحب حماة بن أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي. كانت وفاته في رمضان ٥٨٧هـ. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ببيروت- ١٩٦٨م، ج٣ص١٢٩؛ أبو الفداء: المختصر ج٣ص٨٠-٨١؛ ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ص٣٧٦؛ أبو شامة: الروضتين ج٤ص١٧٠؛ المقريزي: السلوك ج١ص٢٢٠.

(٢) التجاني: الرحلة ص١١٤؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص٢٢٧.

(٣) التجاني: الرحلة ص١١٤.

(٤) ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، (ج٧) تحقيق سعيد عاشور، نشر المعهد الألماني للآثار بالقاهرة ١١٩٧٢م، ص٨٣؛ المقريزي: السلوك ج١ص٢١٢؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب ص١٣١؛ خليل السامرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب: تاريخ المغرب العربي، دار الكتب للطباعة والنشر بالموصل، العراق ١٩٨٨م، ص٣٠٥.

(٥) قال بهذا الرأي كل من التجاني: الرحلة ص١٠٣؛ ابن خلدون :العبر ج٦ص٢٢٧.

(٦) راجع مقالات **B. G. Martin** - الآتية حيث يشير في جميعها إلى أن قراقوش كان أرمينيا:

- Ahmad Rasim Pasha and the Suppression of the Fazzan slave trade, 1881-1896, Africa: Rivista trimestrale di studi e documentazione dell'Istituto italiano per l'Africae l'Oriente, Anno 38, No. 4 (Dicembre 1983) p: 555,
- Mai Idris of Bornu and the Ottoman Turks, 1576-78, International Journal of Middle East Studies, Vol. 3, No. 4 (Oct., 1972), p.483,
- Island of the Blest: Islam in a Libyan Oasis Community by J. P. Mason, African Affairs journal, Vol. 77, No. 309 (Oct., 1978), p.577.

التركية المعروفة وهي قبيلة "الغز"[1]، وقد يؤكد على ذلك أيضا اسمه التركي "قراقوش"[2].

كذلك يخلط عدد من المؤرخين القدامى[3] ....

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١٠ص٤٧؛ المراكشي: المعجب ص٢٣٨؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص٢٢٧؛ د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٧١٢، والأتراك الغز: إحدى القبائل التركية المعروفة والتي ينتمي إليها السلاجقة، وهم قوم من الترك بلادهم تركستان وأواسط أسيا، وقد كانت هجراتهم من تلك الأماكن إلى الهضبة الإيرانية أمرا مألوفا منذ القدم بسبب ظروف بيئتهم الصحراوية التي دفعتهم إلى الهجرة منها باتجاه الغرب حيث الأراضي الإيرانية، كما أن العرب المسلمين اهتموا باستخدام العناصر التركية على شكل مرتزقة، إذ كان بعضهم يتوافد على بلاد العرب بطرق متعددة منها الوقوع في أسر العرب الفاتحين، أو البيع في أسواق الرقيق، وأحيانا كان بعض ولاة الأقاليم التركية يبعث بهم إلى الخلفاء في بغداد على سبيل الإهداء وخلال العصر العباسي ازداد اعتماد المسلمين على العناصر التركية، ووصل الذروة في أيام الخليفة العباسي المعتصم الذي استكثر من شراء العبيد الأتراك وجعل صلب جيشه منهم، وبمرور الوقت ازداد نفوذ الأتراك في الدولة الإسلامية حتى أصبحت لهم السيطرة على مقاليد الحكم والإدارة في الدولة العباسية وتمكنت بعض قبائلهم من تأسيس حكم خاص بهم في إيران وأسيا الوسطى لعل من أبرزها قبيلة الأتراك الغز التي ينتمي إليها السلاجقة والتي سكنت المنطقة الصحراوية بين خراسان وإقليم خوارزم، ثم هاجروا أمام المغول ولحقت عناصر منهم بمصر والشام. راجع السيد عبد المؤمن أكرم: أضواء على تاريخ توران، مطبعة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة (دون تاريخ)، ص١٤-١٥، محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي بالقاهرة (ط٤) ١٩٧٦م، ص١٦٩.

(٢) قراقوش: لفظة تركية معناها "الطائر الأسود"، وقيل أن معناها "العقاب الطائر".

(٣) أبو شامة: الروضتين ج١ق٢ص٦٦٥-٦٦٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، [الجزء ١٢] تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، نشر دار الحديث بالقاهرة، (ط٦) ٢٠٠٢م، ص٣٤٩-٣٥٠.

والمحدثين[1] بين المملوك شرف الدين قراقوش وبين الأمير التركي المعروف بهاء الدين قراقوش الأسدي[2]، والحقيقة أنهما شخصيتان مختلفتان تماما، فبهاء الدين قراقوش كان "أميرا" مقربا من السلطان صلاح الدين الأيوبي كما صرحت المصادر بذلك، بينما لم يتخط شرف الدين كونه "مملوكا" من الرقيق الأبيض الذين كانوا يعملون في خدمة سلاطين وملوك الأسرة الأيوبية، فهو من مماليك الملك المظفر تقي الدين عمر بن أخي صلاح الدين كما سبقت الإشارة[3]، كما أنه كان مغمورا بعيدا عن

---

(١) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل ببيروت، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، (ط ١٣) ١٩٩١م، ج٤ص٢١٣؛ السيد سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٧١٢؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٤٧، ص٢١٢.

(٢) بهاء الدين قراقوش: أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدى: نسب إلى أسد الدين شيركوه، لأنه كان من مماليكه، وخدم صلاح الدين، وتولى زمام القصر الفاطمي بعد مقتل مؤتمن الخلافة جوهر، وأشرف على بناء السور بالقلعة وقناطر الجيزة، كان من المقربين لدى السلطان صلاح الدين حيث كان يعتمد عليه في تدبير أحوال المملكة، ووصف بهاء الدين بأنه كان عالي الهمة، وينسب إليه بناء السور المحيط بالقاهرة وبناء قلعة الجبل والقناطر التي كانت بالجيزة على طريق الأهرام، ولما فتحت عكا تولاها وسورها ثم أسره الفرنج فافتدى نفسه بعشرة آلاف دينار، توفى في غرة رجب من عام ٥٩٧هـ ودفن بسطح المقطم. راجع ترجمته وأخباره في المصادر الآتية: ابن خلكان: وفيات العيان ج٤ص٩١؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر ، دار الكتب العلمية- بيروت (بدون تاريخ نشر) ج٤ص٢٩٨؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي المعروف بـ(تتمة المختصر في أخبار البشر)، منشورات المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٦٩م، ج٢ص١٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية ج١٣ص٣٠-٣١؛ أبو شامة: الروضتين ج٤ص١٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٩م، ج٦ص١٧٦؛ المقريزي: السلوك ج١ص٢٧٠؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر العربي، القاهرة (بدون تاريخ نشر)، ج٤ص٣٢٨.

(٣) راجع أبا الفداء: المختصر ج٣ص٥٣؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ج٢٤ص٣٢٥؛ وقد أكد على هذه الجزئية B. G. Martin في بحثين له هما:

- Mai Idris of Bornu and the Ottoman Turks, p.483,
- Ahmad Rasim Pasha and the Suppression of the Fazzan slave trade, p : 555-556.

الذكر حتى وقت خروجه بالحملة تجاه بلاد المغرب، ولعل هذا الخلط راجع إلى وجود الرجلين في وقت واحد في خدمة سلاطين وملوك الأسرة الأيوبية[1].

أسباب الحملة ودوافع خروجها من مصر:

ذكر بعض الباحثين المحدثين أن حملة شرف الدين قراقوش على بلاد المغرب لم تكن إلا مجرد "مغامرات" لهذا المملوك التركي في تلك البلاد[2]، وأن السلطة الأيوبية في مصر والشام لا تتحمل مسئولية من قريب أو من بعيد تجاه ما فعله قراقوش في بلاد المغرب[3].

---

(١) جعل الدكتور السيد عبد العزيز سالم شرف الدين قراقوش ابن أخي السلطان صلاح الدين مباشرة وليس مملوكا لابن أخيه، ثم عاد فذكر أنه كان مملوكا لتقي الدين ابن أخي صلاح الدين. انظر كتابه: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٧١٢، ص٧١٦؛ كما جعله الدكتور خليل السامرائي وزيرا للسلطان صلاح الدين. انظر كتابه: تاريخ المغرب العربي ص٣١٨. وقد صحح الباحث **B. G .Martin** حقيقة اتصال شرف الدين قراقوش بالأيوبيين وأنه ليس ابن أخي السلطان صلاح الدين مباشرة كما توهم البعض كما أنه لا يتصل بالعائلة الأيوبية بصلة القرابة وأنه لم يكن أكثر من مجرد مملوك من مماليكهم تولى مهمة معينة. انظر بحثه:

B. G .Martin : Island of the Blest: Islam in a Libyan Oasis Community by J. P. Mason, p.577.

(٢) راجع علي قنبر إلياس: أسرة بني غانية ودورهم السياسي والعسكري في التصدي لدولة الموحدين بالمغرب والأندلس (مجلة التربية والعلم المجلد ١٧ العدد ١ لسنة ٢٠١٠م الموصل) ص١٠٣؛ وانظر كذلك تعليق المحقق الدكتور إحسان عباس على ترجمة الأمير بهاء الدين قراقوش في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ج٤ص٩١، وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس من متصف القرن السادس الهجري حتى منتصف القرن الثامن الهجري (رسالة دكتوراه غير منشورة) كلية دار العلوم – جامعة الفيوم ٢٠٠٨م، ص١٠١، ص١٨٤.

(٣) راجع وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس ص١٠١-١١٠؛ ويذكر أحمد الأنصاري الطرابلسي أن شرف الدين ذهب إلى بلاد المغرب "مغاضبا مولاه تقي الدين عمر" في بعض الأمور. انظر كتابه المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣١.

والحقيقة أنه لا يمكن للباحث في تاريخ العلاقات بين مصر وبلاد المغرب في العصر الإسلامي أن يأخذ بمثل هذه الآراء خاصة وأنها تتعلق ببيان صورة العلاقة بين أكبر قوتين سياسيتين وعسكريتين في المنطقة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين أنيط بهما الدفاع عن بلاد المسلمين وممتلكاتهم في شرق العالم الإسلامي وغربه رغم اختلافهما سياسيا ومذهبيا، وأعني بذلك الدولة الأيوبية بمصر والشام ودولة الموحدين في المغرب والأندلس.

إن القولَ بأن حملة شرف الدين قراقوش على بلاد المغرب لم تكن إلا مجرد "مغامرات" لهذا المملوك، وأن ما فعله بتلك البلاد لا يحمل الأيوبيين أية مسئولية تجاهه قولٌ غير مقبول في ظل تأكيد المصادر والمراجع على دعم الأيوبيين لهذه الحملة ورغبتهم في توسيع سلطانهم إلى بلاد المغرب كما سيرد في هذا البحث.

وبعيدا عن الانسياق وراء أقوال غير منطقية لا تستند إلى سند قوي أو نص تاريخي يؤيدها مثل القول برغبة شرف الدين قراقوش في بناء مجد شخصي له، أو أنه كان يسعى إلى جمع الأموال والغنائم والسيطرة على خزائن "بني الخطاب"[1] في مدينة

---

(١) بنو الخطاب الهواريون: من البربر من قبيلة هوارة، كانوا قد أقاموا لهم ملكا خاصا في منطقة فزان بالمغرب الأدنى، واتخذوا من مدينة زويلة على حدود مصر الغربية مقرا لهم، وهي التي دخلها شرف الدين قراقوش في عام ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م وعذب مكلها محمد بن خطاب بن عبد الله بن زنقل آخر ملوك هذه الأسرة، وكان شرف الدين يعتقد أنه قد خبأ أمواله فعذبه ليستخرجها منه، وما زال به حتى مات من التعذيب، وبموته انقرض ملك تلك الأسرة من فزان تماما. راجع ابن خلدون: العبر ج٦ص١٦٩، وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر في إقليم برقة وطرابلس ص١٠٠.

زويلة[1] شرقي ليبيا والتي ذكر البعض أنها كانت "أسطورة" نظرا لضخامتها[2]؛ فإن الحقيقة الواضحة أن حملة شرف الدين قراقوش المظفري على بلاد المغرب تعكس صفحة من تاريخ العلاقات السياسية غير المستقرة بين الأيوبيين والموحدين، وهذا الأمر يدفعنا إلى البحث عن مجموعة الأسباب الحقيقية الكامنة وراء خروج هذه الحملة العسكرية من مصر في هذا التوقيت؟!.

ويمكن لنا أن نقف على بعض الحقائق التاريخية المهمة التي تؤيد أن هناك أسبابا مباشرة وغير مباشرة جعلت الأيوبيين يخرجون هذه الحملة من مصر تجاه بلاد المغرب في الوقت الذي ما تزال دولتهم فيه في مرحلة النشأة بمصر، ***ويمكن الإشارة إلى ذلك من خلال النقاط التالية :***

أولا: الوحشة التي حدثت بين الناصر صلاح الدين الأيوبي وسيده نور الدين محمود خلال عامي (٥٦٨-٥٦٩هـ/ ١١٧٢-١١٧٣م)، وخوف صلاح الدين من أن يتحرك نور الدين بجيوشه تجاه مصر ليستولي عليها ويطرده منها، ويذكر التجاني في رحلته أن هذه الأمور قد جعلت صلاح الدين يفكر في أن يحتاط لنفسه وأن يكون له ملاذ آخر غير مصر يلتجيء إليه إذا ما اضطر إلى التراجع أو الانسحاب أمام قوات

---

(١) زويلة: مدينة بفزان قرب طرابلس الغرب. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٣ص١٦٠، وقد كانت دار ملك بني الخطاب الهواريين حتى قضى عليهم شرف الدين قراقوش.

(٢) راجع:

B. G. Martin : Ahmad Rasim Pasha and the Suppression of the Fazzan slave trade, p.p : 555-556.

نور الدين[١]، وقد انقسم أمر صلاح الدين بين بلاد اليمن والبلاد المغربية، فكلف أخاه الأكبر تورانشاه بالذهاب على رأس حملة إلى بلاد اليمن، وتمكن تورانشاه من فتحها في عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، وخطب فيها للخلافة العباسية ولأخيه الناصر صلاح الدين، ثم جاءه ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر فقاله له: "أنا أتوجه إلى بلاد المغرب فأفعل مثل ما فعل" (يقصد فتح تورانشاه لبلاد اليمن)، فوافق صلاح الدين وأخذ تقي الدين يستعد لرحلته.

وقد جاءت وفاة نور الدين محمود في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شوال عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م عاملا مريحا للسلطان صلاح الدين من تخوفه[٢]، أما تقي الدين فلقد ذكر التجاني أنه بعد أن أخذ يستعد لرحلته زهد فى بلاد المغرب، "وعرف ما بينه وبين بلاد إفريقية من العربان والمهالك فاستعفى من ذلك"[٣]، وامتنع عنه، ولقد تابع ابنُ خلدون التجاني فى ذلك وصرح بالنقل عنه[٤]، ولكن روايته تختلف عن رواية التجاني حيث ذكر ابن خلدون أن صلاح الدين قد وافق على اقتراح ابن أخيه تقى الدين وأمره بالتوجه إلى المغرب لافتتاح ما أمكنه من المدن تكون له معقلاً يتحصن فيه

---

(١) التجاني: الرحلة ص١١٢.

(٢) ابن شداد: سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي، دار المنار بالقاهرة (ط١) ٢٠٠٠م، ص٣٠؛ كذلك راجع:
B. G. Martin : Ahmad Rasim Pasha and the Suppression of the Fazzan slave trade, p :555-556.

(٣) التجاني: الرحلة ص ١١٢.

(٤) انظر ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ٢٢٧، قال: "وكان من خبره (يقصد خبر قرقوش أو قراقش على حد لفظه) على ما نقل أبو محمد التجاني فى كتاب رحلته... ".

من مطالبة نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام.... ثم رجع تقى الدين من طريقه لأمر عرض له[١]، فرواية التجاني تفيد أن تقى الدين استعد للسفر فقط ثم أعرض عنه، ولكن ابن خلدون يذكر أنه قد سافر ثم رجع من الطريق، وهذا ما لم يحتمله نص التجاني[٢].

ولما امتنع تقى الدين من التغريب بقواته، أخرج بطائفة منهم مملوكه شرف الدين قراقوش، وبطائفة أخرى منهم ناصر الدين إبراهيم بن قراتكين سلاح دار المعظمى، وهو منسوب إلى الملك المعظم شمس الدولة أخى صلاح الدين، وكان فى أجناد تقى الدين، فجاز المذكوران بمن معهما إلى بلاد المغرب[٣].

وهكذا يمكن القول بأن رغبة صلاح الدين الأيوبي في تحصين إنجازاته بأرض مصر كانت سببا من أسباب خروج هذه القوة العسكرية من مصر، حيث رغب في إيجاد موضع قدم آخر له يأمن فيه هجوم نور الدين محمود على مصر، وهذا الأمر قد جعله يوافق على خروج ابن أخيه تقي الدين بحملة من مصر تجاه المغرب، وقد كان من الطبيعي أن يفكر صلاح الدين في بلاد المغرب مباشرة كونها ترتبط بمصر منذ الفتوحات الإسلامية الأولى، وحتى لا يؤخذ على غرة من جهة الغرب، كما أنه أراد أن يضم تلك البلاد لحوزته ليستفيد من ثرواتها من جهة وبفضل موقعها الجيد في حماية حدود مصر الغربية من جهة أخرى[٤].

---

(١) ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ٢٢٧.

(٢) وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس ص٩٣.

(٣) التجاني: الرحلة ص ١١٢؛ ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ٢٢٧؛ وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس ص٩٣.

(٤) انظر: B. G. Martin : Ahmad Rasim Pasha and the Suppression of the Fazzan slave trade, p :555-556.

كما كان لقيام الخلافة الموحدية ببلاد المغرب منذ عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م وخلعهم لطاعة الخلافة العباسية وإقامة خلافة مستقلة لهم، كل ذلك كان يشكل خطرا كبيرا على مصر والخلافة العباسية، ولهذا فكر صلاح الدين في تأمين حدود مصر الغربية التي سبق للفاطميين أن هددوا مصر منها، واستطاع جوهر الصقلي أن يدخل مصر عن طريقها ويقيم الدولة الفاطمية الشيعية منذ عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م والتي استمرت حتى قضى عليها السلطان صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م[١].

ويفهم من الحوار الذي دار بين صلاح الدين وبين ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين وضوح رغبة الأخير في أن يكون له دور في اتساع ملك الأسرة الأيوبية وامتداد سلطانها خارج حدود مصر[٢]، وقد جاءت هذه الرغبة متفقة مع التوجه السياسي والعسكري للسلطان صلاح الدين الذي أراد أن يوسع ملك أسرته بفتح بلاد المغرب واليمن كذلك[٣]، ويذكر عنه أنه كان يقول لتقي الدين: "لعمري إن فتح المغرب مهم، ولكن فتح بيت المقدس أهم"[٤].

ثانيـا: ساء ظهور دولة الأيوبيين في مصر جيرانهم الموحدين ببلاد المغرب، ولما كان صلاح الدين قد عزم منذ فتحه مصر والقضاء على الخلافة الفاطمية بها أن يوسع ملكه في بلاد المغرب، فقد فكر الموحدون في غزو مصر لهذه الأسباب، ويشير كل من

---

(١) محمد عبد العال: الأيوبيون في اليمن (مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م، ص٨٠.

(٢) محمد عبد العال: الأيوبيون في اليمن ص٧٩؛ وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس ص١٠٦.

(٣) علي الصلابي: إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة، (ط١) ٢٠٠٣م ص١١٣.

(٤) انظر أبا شامة: الروضتين ج٢ص١٦٦.

المراكشي[١] والذهبي[٢] إلى رغبة الخليفة الموحدي المنصور في غزو مصر، كما صرح هو بذلك محتجا بأنها بلد يحوي "البدع والمنكرات" وأنه يفكر في غزوها لتطهيرها من ذلك[٣].

ولا شك أن صلاح الدين كان يعلم بهذه الرغبة لدى الموحدين، فأراد أن يمتلك زمام المبادرة بضم بلاد المغرب الأدنى إليه في أقرب وقت ثم السعي نحو المغربين الأوسط والأقصى، وربما أنه فكر في إيجاد مركز نفوذ قوي للأيوبيين ببلاد المغرب يكون خط الدفاع الأول في وجه الأطماع الموحدية، فجاءت حملة شرف الدين قراقوش خطوة عملية في هذا السبيل[٤]، كما كان لانشغال صلاح الدين الدائم بمحاربة الصليبيين وطردهم عن مصر والشام أثرا في عدم خروجه بنفسه لفتح بلاد المغرب وضمها لسلطانه، ولو أنه وجد الاستقرار بمصر والشام لنشد بسط سلطانه على بلاد المغرب – الأدنى على الأقل- ليحفظ حدود مصر الغربية من توسعات الموحدين وتطلعاتهم تجاه مصر[٥].

---

(١) المراكشي: المعجب ص٢٣٥.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٢١، تحقيق بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة ببيروت (ط١) ١٩٨٤م، ص٣١٥.

(٣) راجع المراكشي: المعجب ص٢٣٥؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣١٨؛ علي الصلابي: دولة الموحدين ص١٤٤؛ وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس ص١١٠.

(٤) راجع علي الصلابي: دولة الموحدين ص١٤٥.

(٥) وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس ص١٠٨.

ويذكر أبو شامة أن السلطان صلاح الدين الأيوبي قد نزل بنفسه أرض برقة بعد موقعة حطين (أي بعد عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) وهو ما يؤكد على تبعية منطقة المغرب الأدنى لسلطان الدولة الأيوبية حتى هذا التاريخ، وكان ضمها من إنجازات حملة شرف الدين قراقوش خلال الفترة السابقة(١).

وهكذا يتبين لنا أن إخراج حملة شرف الدين قراقوش من مصر تجاه بلاد المغرب كانت ضمن الجهود التي بذلها السلطان صلاح الدين الأيوبي لتحقيق وحدة الجبهة العربية الإسلامية في عصره لمواجهة الصليبيين وإخراجهم من البلاد الإسلامية كما أكد ذلك أحد الباحثين المحدثين(٢).

ثالثا: تمثل حملة شرف الدين قراقوش على بلاد المغرب واحدة من صور المنافسة السياسية والعسكرية الخفية بين الدولة الأيوبية بمصر والشام، ودولة الموحدين بالمغرب والأندلس، ورغم عدم وضوح هذه المنافسة بشكل مباشر؛ فإن أطماع كل دولة في امتلاك زمام المبادرة بالهجوم على ممتلكات الأخرى ورغبة كل منهما في امتلاك السيادة البحرية والعسكرية في عالم البحر المتوسط، كل ذلك يعكس بوضوح حجم التنافس بين القوتين، ومن ثم فقد قدر للعلاقات القائمة بين المشرق والمغرب الإسلاميين أن تسطر صفحات من أحداث التنافس السياسي والحربي بين إمبراطورية موحدية بلغت قمة عظمتها السياسيبة ووصلت بحدودها السياسية حتى

---

(١) أبو شامة: الروضتين ج٢ص١٩٩؛ وراجع كذلك: ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٦٣-١٦٤.

(٢) محمد عبد العال أحمد: الأيوبيون في اليمن ص٦٩.

مدينة طرابلس على مقربة من حدود مصر الغربية، وبين الدولة الأيوبية الفتية التي حلت في الحكم محل الدولة الفاطمية البائدة وسيطرت على ممتلكات الدولة النورية في الشام والحجاز[١] .

وإذا كانت حملة شرف الدين قراقوش تعكس صفحة من تاريخ العلاقات السياسية بين الموحدين والأيوبيين، فإن ما تلاها من أحداث والسفارة التي بعث بها الناصر صلاح الدين في شهور عام ٥٨٦هـ-١١٩٠م على يد مبعوثه أسامة بن منقذ والتي طلب فيها من الموحدين عونا بحريا لصد الهجوم الصليبي على مدينة عكا في بلاد الشام[٢]، كل ذلك ينهض دليلا على مبادرة طيبة ودية من جانب الدولة الأيوبية تجاه الخلافة الموحدية وفقا لأقوال صلاح الدين نفسه واعتذاره عما قام به مملوكهم قراقوش في البلاد الموحدية بالمغرب[٣] .

وقد جاء رفض أبي يوسف يعقوب الموحدي مساندة صلاح الدين أو التحالف معه معتبرا أن توسعات صلاح الدين في غرب مصر وتحركات قائده قراقوش في بلاد الموحدين وتحالفه مع أعدائهم دليلا على طبيعة هذا التنافس السياسي والعسكري بين الدولتين والتي شكلت حملة قراقوش كما هو واضح واحدة من أبرز صوره.

رابعا: لا يغيب عن الأذهان أن الدولة الأيوبية كانت تناصر الخلافة العباسية السنية في بغداد وتدعو لها على منابر بلادها، وأن هذه الدولة قد تأسست على أنقاض

---

(١) ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص٨.

(٢) سوف نعرض لهذا الموضوع في موضعه من هذا البحث.

(٣) ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٣، ص١٥٦.

الدولة الفاطمية الشيعية، وبلا شك فإن توسعات صلاح الدين في البلاد المغربية على حساب الموحدين سوف تنقل معها شعار العباسيين وسلطانهم إلى تلك البلاد، وهو ما لا يتوافق مع خلافة الموحدين وتطلعاتهم السياسية حيث كانوا يرون أن دار الخلافة الشرعية هي مراكش لا بغداد، وقد كانت طموحاتهم ظاهرة من أجل توحيد العالم الإسلامي تحت لوائهم لا سيما في عهد خليفتهم القوي أبي يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٨م) الذي صرح كما سبق القول بقصد مصر لتطهيرها من البدع والمنكرات[١].

وليس من المستبعد أن يكون صلاح الدين كان يفكر في بلاد الموحدين بنفس الطريقة، وبما أنه يناصر الخلافة العباسية ويدعو لها، فقد بادر بإخراج حملة عسكرية إلى بلاد المغرب للقيام بهذه المهمة كنوع من التقرب للخلافة العباسية مثلما فعل في اليمن عندما أخرج أخاه الأكبر تورانشاه بحملة إليها فقضى على المذهب الرافضي هناك وأعلن التبعية والدعاء للخلافة العباسية منذ عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م[٢].

وتروي لنا المصادر التاريخية أن الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٧٩-١٢٢٥م) طالب السلطانَ صلاح الدين الأيوبي أن يناصر بني

---

(١) راجع المراكشي: المعجب ص٢٣٥؛ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، نشر محمد أحمد بسيوني، الإسكندرية، (ط١) ١٩٦٨م، ص١١٤؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص٨؛ علي الصلابي: دولة الموحدين ص١٤٤.

(٢) راجع ابن واصل: مفرج الكروب ج١ ص٢٣٨؛ محمد عبد العال: الأيوبيون في اليمن ص٧١-٧٢.

غانية[١] ويدعم تحركاتهم ضد الموحدين في بلاد المغرب، فكتب صلاح الدين إلى قائد الحملة الأيوبية هناك شرف الدين قراقوش يأمره بالتعاون مع بني غانية وإعلاء شأن الخلافة العباسية بالبلاد المغربية[٢]، وقد سايرتها في ذلك بعض الدراسات الحديثة[٣].

وهكذا يتبين لنا أن السلطان صلاح الدين الأيوبي كان يعمل على تحقيق هدفين رئيسين أولهما: مجاهدة الصليبيين في الشام واسترداد الأراضي التي يسيطرون عليها، وثانيهما تحقيق سيادة المذهب السني[٤] في أنحاء الدولة الإسلامية شرقا وغربا، وبلا شك فإنه كان على وعي تام بكل ما يتطلبه ذلك من سعي لتحقيق هذه الوحدة السياسية والمذهبية للبلاد الإسلامية، فأخرج لذلك عدة حملات تجاه اليمن والنوبة والبلاد المغربية أيضا.

تاريخ خروج الحملة وقيادتها :

تختلف المصادر المتاحة حول التاريخ الحقيقي لظهور شرف الدين قراقوش في البلاد المغربية، فبينما يذكر كل من ابن الأثير[٥] وابن شداد[٦] وابن واصل[٧]

---

(١) سوف يأتي التعريف بهم لاحقا عند الحديث عن تحالفهم مع قراقوش على الموحدين.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج١٠ ص١٣٧؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٢٩-٣٣٠؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣٧.

(٣) سعد زغلول عبد الحميد: العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي وأبي يوسف يعقوب المنصور، مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، (مج ٦-٧) ١٩٥٣م، ص٩٥-٩٦؛ خليل السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣٠٥؛ محمد عبد العال: الأيوبيون في اليمن ص٧٩.

(٤) محمد عبد العال أحمد: الأيوبيون في اليمن ص٧٨-٧٩.

(٥) الكامل في التاريخ ج١٠ ص٤٧.

(٦) ابن شداد: سيرة صلاح الدين الأيوبي ص٢١٤.

(٧) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ج١ص٢٣٥

والتجاني[1] وأبو الفداء[2] والنويري[3] وابن كثير[4] أن أول ظهور له هناك كان برفقة برفقة الأتراك الغز في حوادث سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م؛ يجعل كل من أبي شامة[5] والمقريزي[6] تاريخ دخول قراقوش بلاد المغرب سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، أما صاحب صاحب كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر فيجعل أول ظهور لشرف الدين قراقوش ببلاد المغرب في سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م[7].

وقد جعل عبد الواحد المراكشي ظهور "الغز الأتراك" لأول مرة ببلاد المغرب في سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م، وهم أتباع قراقوش وجنوده، وهو يثني عليهم ثناء طيبا فهم عنده "من ألطف الناس حسا وأزكاهم نفسا وأطيبهم عشرة"[8]، ثم يصرح بتاريخ ظهور قراقوش نفسه (أو قراقش) كما يسميه- ببلاد المغرب بين عامي (٥٨٢-٥٨٣هـ/ ١١٨٦-١١٨٧م)[9].

غير أنه من المرجح أن حملة شرف الدين قراقوش قد خرجت من مصر في عام ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م كما قال بذلك كل من ابن الأثير وابن شداد وابن واصل والتجاني

---

(١) الرحلة ص١١١.

(٢) المختصر في أخبار البشر ج٣ص٥٣.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب ج٢٤ص٣٢٥.

(٤) البداية والنهاية ج١٢ص٦٥٦.

(٥) راجع الروضتين ج١ق٢ص٦٦٥-٦٦٦، وانظر كذلك له عيون الروضتين ج٢ص٢٩.

(٦) السلوك ج١ق١ص٦٠.

(٧) انظر مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، نشر الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة ٢٠٠٥م، ص٦٠، وقد ارتضت هذه الرواية ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٢، ص١٤٧.

(٨) المراكشي: المعجب ص٢٣٨.

(٩) راجع المراكشي: المعجب ص٢٣٨.

وأبو الفداء والنويري وابن كثير[1]، حيث تكشف أحداث الحملة عن استيلاء قراقوش على مدينة طرابلس وبعض البلاد القريبة منها في هذا التاريخ[2]، ويؤيد ذلك ذلك أيضا ما ذكره التجاني في رحلته وابن خلدون في تاريخه ناقلا عن التجاني[3] من أن أن تفكير صلاح الدين في غزو اليمن والمغرب كان في وقت وقوع الوحشة بينه وبين نور الدين محمود الذي مات في عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م مما يرجح خروج الحملة قبل هذا التاريخ.

أما عن قيادة الحملة واستعداداتها، فهناك من يشير إلى أن صلاح الدين كان قد أسند قيادة هذه الحملة إلى أخيه تورانشاه ثم عدل عن ذلك بعدما أخرج أخاه تورانشاه إلى بلاد اليمن في نفس التوقيت[4]، وقد سبقت الإشارة إلى أن هذه الحملة في الأساس الأساس كانت تحت قيادة الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين وأنه صرف النظر عن قيادتها بنفسه لعلمه ما بينه وبين تلك البلاد من العربان والمهالك فأخرج مملوكه شرف الدين بطائفة من جنده وبطائفة أخرى إبراهيم بن قرا تكين سلاح دار المعظمي فجازا بجنودهما إلى بلاد المغرب[5].

---

(١) راجع كذلك: محمد عبد العال: الأيوبيون في اليمن ص٦٩؛ وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس ص٩٥-٩٧، وراجع أيضا للتأكيد على صحة هذا التاريخ:

B. G. Martin Mai Idris of Bornu and the Ottoman Turks, p: 483,
B. G. Martin: Kanem, Bornu, and the Fazzan: Notes on the Political History of a Trade Route, p: 19.

(٢) ابن شداد: سيرة صلاح الدين ص٢١٤؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ج٣ص٥٣؛ أحمد الأنصاري الطرابلسي: المنهل العذب ص١٣١-١٣٢؛ كذلك:

Jacques Thiry: Le Sahara Libyen medieval, Civilisations journal, Vol. 38, No. 1, Aspects de L'Islam (1988) p: 80.

(٣) التجاني: الرحلة ص١١٢؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص٢٢٧.

(٤) ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٢، ص١٤٧.

(٥) التجاني: الرحلة ص١١٢؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص٢٢٧.

ومن هناك كتب شرف الدين قراقوش رسالة إلى سيده تقي الدين يقول فيها: "إن البلاد سايبة" مشيرا بذلك إلى ضعف السلطة المركزية للموحدين على تلك النواحي، كما أنه رغّب سيده في السفر إليها، فاستأذن تقيُّ الدين السلطانَ صلاح الدين في الخروج إليها وسأله "ألا يمنعه من سلوك مسلكها"(١).

ويفهم من هذا السياق أن إسناد قيادة الحملة إلى شرف الدين قراقوش كان بإيعاز من سيده تقي الدين عمر، وأن السلطان صلاح الدين لم يبد اعتراضا على هذا الأمر وإلا لكان قد أمر على الفور بعودتها إلى مصر وبخاصة عندما اختلف معه ابن أخيه تقي الدين عام ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م، وأراد اللحاق بمملوكه قراقوش في بلاد المغرب فرفض صلاح الدين سفره واسترضاه ولم يأمره بإعادة الحملة مما يؤكد على موافقته على خروجها وقيادة شرف الدين قراقوش لها(٢).

أما عن العناصر التي شاركت في الحملة فقد تشكلت القوة الأساسية لها من عناصر "تركية وكردية" من مماليك الدولة الأيوبية في مصر، حيث خرجوا تحت قيادة شرف الدين قراقوش، وفي الطريق التحقت به عناصر أخرى "عربية وبربرية" من قبائل مختلفة منها قبائل بني هلال وبني سليم حلفاء قراقوش في البلاد المغربية(٣).

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ص١٨٠؛ أبو شامة: الروضتين ج٢ص٧٠؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٤٧-١٤٨.

(٢) راجع ابن الأثير: الكامل ج١٠ص١٣٩؛ أبو الفداء: المختصر ج٣ص٧٠؛ المقريزي: السلوك ج١ص٢٠٥.

(٣) انظر مضمار الحقائق وسر الخلائق ص١٩٣-١٩٤؛ د. خليل السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣١٨؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص٩، ص١٣١، ص١٥٣.

ولعل هذه المساندة العربية التي لاقاها شرف الدين قراقوش في حملته على المغرب ووقوفهم إلى جانبه خلال صراعه مع الموحدين كان بدافع عدم رغبة هذه القبائل العربية الانخراط في صفوف الموحدين وقبول سيادتهم السياسية والمذهبية، وكان انضمام هذه العناصر العربية إلى قراقوش من قبيل التمرد القبلي على حكم الموحدين، وهو تمرد كان مجردا من أي سند سياسي، أما شرف الدين قراقوش فكان يسعى بنفسه إلى استمالة هؤلاء الأعراب والتحالف معهم لتحقيق أهداف حملته[١].

وهكذا تحدد الإطار السياسي لهذه الحملة فظهر في صورة تحالف بين حملة قراقوش والقبائل العربية من بني هلال وبني سليم وبعض العناصر البربرية بالإضافة إلى أنصار دولة المرابطين الزائلة ممثلين في بني غانية أصحاب جزر البليار[٢].

ضمت الحملة وقت خروجها من مصر أول مرة أربعمائة فارس من الأتراك والأكراد، وهؤلاء كانوا القوة الأساسية التي اعتمد عليها قراقوش حتى دخل مدينة طرابلس حيث التحقت به بعد ذلك جموع غفيرة من قبائل "دبّاب" العربية، وهؤلاء بلغ عددهم حوالي خمسة آلاف يمثلون جموعا من عرب بني هلال[٣]، ثم تضاعفت

---

(١) ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٣٣.

(٢) خليل السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣١٨؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ١٢، راجع أيضا:

Michael Brett: The Way of the Nomad, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 58,No. 2 (1995), p: 265, Jacques Thiry: Le Sahara Libyen medieval, p: 80.

وسوف نعرض لهذا التحالف وموقف الموحدين منه في موضع لاحق من هذا البحث، وجزر البليار: هي جزر (ميورقة ومنورقة ويابسة) في البحر المتوسط شرقي الأندلس من ناحية قطلونيا وبلنسية. انظر الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة ١٩٩٤م، ج٢ص٥٨٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج١٠ص٤٧؛ التجاني: الرحلة ص١١١-١١٣؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص١٩١-١٩٢؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣٢.

قوة الحملة بالمدد الذي جاءها من مصر في عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م فغدت قوة قراقوش الأساسية ثمانمائة فارس من الأتراك الغز والأكراد.(١)

أعمال شرف الدين قراقوش وفتوحاته في بلاد المغرب:

على الرغم من أن كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق هو المصدر الأول عن حملة شرف الدين قراقوش على بلاد المغرب كونه يسجل أحداث هذه الحملة سنة بعد سنة؛ فإنه كما سبق القول يجعل تاريخ ظهور قراقوش في تلك البلاد عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م وهي رواية كما سبقت الإشارة غير دقيقة، ومن ثم فلقد حاول البحث استقصاء أخبار الحملة ورصد تحركات قائدها قبل هذا التاريخ من مصادر أخرى غير كتاب المضمار، ولا نعدم في الحقيقة وجود معلومات متفرقة في بطون بعض الكتب حول ذلك وأهمها نص كتاب الكامل لابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) الذي كتب تحت عنوان "ذكر خروج الترك إلى أفريقية" في حوادث عام ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م مشيرا إلى أن "طائفة" من الترك قد خرجوا من مصر في هذه السنة تحت قيادة قراقوش الذي اجتاز بهم جبل نفوسة(٢) واجتمع مع بعض أعيان العرب الخارجين على طاعة الموحدين واتفقا، وأسفر اتفاقهما عن سقوط مدينة طرابلس في يدي شرف الدين قراقوش في نفس السنة(٣).

---

(١) انظر مضمار الحقائق وسر الخلاق ص١٩٣-١٩٤؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٥٣.

(٢) جبل نفوسة: يمتد على مساحة كبيرة من الأرض تستغرق مسيرة ستة أيام من مدينة قفصة، وهو جبل عال فيه المياه الجارية والكروم ويزرع أهله الشعير بكثرة. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، نشر دار القلم ببيروت ١٩٧٥م، ص٥٧٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج١٠ص٤٧؛ ابن شداد: سيرة صلاح الدين ص٢١٤؛ أبو الفداء: المختصر ج٣ص٥٣؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٢٥؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب ص١٣٢-١٣٣، وانظر خريطة خط سير الحملة بالملحق رقم (١) بنهاية البحث.

كان سقوط مدينة طرابلس عملا مهما رمت الحملة إلى تحقيقه في بداية طريقها، كون هذه المدينة تشكل قاعدة مركزية مهمة على الحدود الغربية لمصر، وقد اتخذها قراقوش قاعدة ثابتة لمواصلة فتوحاته بعد أن أسكن أهله في قصرها، وتكشف رواية ابن الأثير السابقة عن أن شرف الدين قراقوش قد "ملك كثيرا من بلاد أفريقية" بعد مدينة طرابلس[1].

إن هذا الانتصار الأول الذي حققته الحملة قد شجع قائدها على مواصلة الفتح فخرج في المحرم من عام ٥٧١هـ/ ١١٧٥م تجاه بلاد الجريد[2] وفزان[3] وأزال منها ملك بني الخطاب الهواريين بعد اقتحامه قاعدة ملكهم في مدينة زويلة المعروفة بـ"زويلة بني الخطاب"، وقد أقدم قراقوش على تعذيب ملكها محمد بن خطاب بن عبد الله بن زنقل بن خطاب آخر ملوكهم حتى مات، وكان شرف الدين يعتقد أنه قد خبأ مالا فكان يعذبه ليستخرجه منه، وبموته انقرض ملك بني الخطاب من فزان ونواحيها، وخطب قراقوش في تلك البلاد للسلطان صلاح الدين الأيوبي[4].

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١٠ ص٤٧؛ أبو الفداء: المختصر ج٣ص٥٣؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٢٥؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب ص١٣٣.

(٢) بلاد الجريد: تضم مدن قفصة وتوزر والحامة ونفطة وما إلى تلك البلاد، وسميت ببلاد الجريد لكثرة نخيلها، وهي مدن خيراتها كثيرة من التمر والزيتون والفواكه وغيرها، وهي آخر بلاد أفريقية على طرف الصحراء تضم الأنهار والعيون. راجع الحميري: الروض المعطار ص٨٢.

(٣) فَزّان: ذكر ياقوت أنها ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب، وقال أن أغلب أهلها سود اللون، وقد سميت بذلك نسبة إلى فزان بن حام بن نوح عليه السلام. راجع معجم البلدان، دار صادر بيروت (دون تاريخ نشر)، ج٤ص٢٦٠.

(٤) التجاني: الرحلة ص١١٠-١١٢؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص٢٢٧؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب ص١٣١، وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس ص١٠٠؛ وراجع كذلك مقالات B. G. Martin:

- Kanem, Bornu, and the Fazzan: Notes on the Political History of a Trade Route, p: 19,
- Mai Idris of Bornu and the Ottoman Turks, p.483.

وقد كان شرف الدين قراقوش مدفوعا في رحلته إلى بلاد فزان والجريد بحديث أحد أهليها عن خيراتها الوفيرة وأموالها الغزيرة وضعف أهلها، كما أنه رغّبه في الدخول إليها، وقد استغرقت رحلته إلى هذه البلاد خمسة أيام كان "يكمن نهارها ويسير ليلها"، كما افتتح منها مدينة أَوْجَلَة[1]، بعد أن لقيه هناك ملكها فأكرمه وبالغ في احترامه وسأله المقام عنده ليعتضد به ويزوجه ابنته ليساعده في حفظ البلاد من إغارات العرب عليها، فوافق شرف الدين على ذلك بعد أن حصل على موافقة صاحب المدينة بثلث ثمارها سنويا له ولجنده، كما حصل من أوجلة على ثلاثين ألف دينار أخذ منها عشرة لنفسه ووزع عشرين ألفا على رجاله[2].

ولما رأى أهل مدينة الأرزاقية (قصبة أوجلة) صنيع قراقوش بأوجلة وحفظه لها ساروا إليه ورغبوه في المسير إلى بلادهم وأنهم سيملكونه عليهم، فرحل قراقوش من أوجلة بعد أن ترك فيها حامية عسكرية من رجاله، ونزل على الأرزاقية وحصل منها على أموال كثيرة[3].

إن ما حدث في أوجلة والأرزاقية من فتح بالصلح يعكس بلا شك سياسة قائد هذه الحملة في الفتح وأنه كان حريصا على اتباع سياسة اللين والمصالحة ما دام الطريق

---

(١) أَوْجَلَة: جنوبي برقة نحو الغرب منها، وهذا اسم الناحية ومدينتها تسمى الأرزاقية. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج١ص٣٦٨.

(٢) أبو شامة: الروضتين ج١ق٢ص٦٦٦؛ المقريزي: السلوك ج١ص١٧١؛ وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس ص٩٩.

(٣) أبو شامة: الروضتين ج١ق٢ص٦٦٦؛ المقريزي: السلوك ج١ص١٧١؛ وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس ص١٠٠.

مفتوحا إلى ذلك، كما أن الأموال التي حصل عليها من بني الخطاب وأوجلة والأرزاقية قد زادت من قوته ورغبته في مواصلة أعمال الفتح، غير أنه فوجئ بوفاة صاحب أوجلة وانقضاض أهلها على حاميته العسكرية وقتل رجالها مما اضطره إلى العودة مسرعا إلى المدينة ومحاصرتها، وهنا لجأ شرف الدين قراقوش إلى تغيير سياسة الود والتسامح إلى استخدام القوة بعدما رأى صنيع أهل أوجلة برجاله، فقد اضطر إلى فتحها للمرة الثانية بالقوة وأخذ من رجالها المتمردين سبعمائة رجل تشير المصادر إلى أنه قتلهم جميعا وغنم من المدينة غنائم وفيرة أخرى وفرض سيطرته عليها ثم رحل عائدا إلى مدينة طرابلس[١].

وبعد العودة إلى طرابلس تفيد المصادر أن شرف الدين قراقوش قد عاد إلى مصر أواخر عام ٥٧١هـ/ ١١٧٥م[٢]، ولا يعلم الأسباب الحقيقة وراء عودة قراقوش إلى مصر في هذا التوقيت، وربما أنه أراد أن يطلع الأيوبيين على إنجازات الحملة حتى هذا التوقيت، أو أنه أراد أن يتزود لحملته من الرجال والسلاح بعد مقتل عدد من رجاله في أوجلة كما سبقت الإشارة، وقد أمده سيده المظفر تقي الدين عمر بعدد من الجند وأمره بالعودة لمواصلة الفتح.

وبعد أن تجهز قراقوش للعودة منعه الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين وأمر بالقبض عليه، فهرب شرف الدين إلى الفيوم فبعث العادل وراءه الأمير "خطلبا

---

(١) أبو شامة: الروضتين ج١ق٢ص٦٦٦؛ المقريزي: السلوك ج١ص١٧١؛ وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس ص٩٩.

(٢) أبو شامة: الروضتين ج١ق٢ص٦٩٢؛ المقريزي: السلوك ج١ص١٧١.

بن موسى" والي القاهرة الذي قبض على قراقوش وأخذه محمولا إلى القاهرة في عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م[١].

وتفيد رواية أبي شامة أن أحد الأمراء ويدعى "فرخشاه" قد تدخل لتخليص قراقوش من محنته مع الملك العادل، وأنه قد نجح بالفعل في ذلك فعاد قراقوش إلى بلاد المغرب وفتح بلاد فزان بأسرها[٢].

ومن المحتمل أن يكون الملك العادل أراد من إيقاف شرف الدين قراقوش أن يقطع على تقي الدين عمر ابن أخيه طموحاته في الملك بفتوحات قائده قراقوش في بلاد المغرب وهو الذي كان يطمح أن يكون له دور في اتساع ملك الأيوبيين وامتداده خارج مصر مثلما فعل تورانشاه في بلاد اليمن كما صرح هو بذلك[٣]، وقد يكون تقي الدين هو من أوحى إلى الأمير فرخشاه لتخليص قراقوش من محنته أمام الملك العادل.

على أية حال فإن أحداث العامين التاليين (٥٧٣-٥٧٤هـ/ ١١٧٧-١١٧٨م) قد تؤيد وجهة النظر السابقة وتؤكد على أن أوامرا قد صدرت لقراقوش بالتوغل نحو الغرب بفتوحاته، ورغم أن المقريزي يذكر أن شرف الدين قد عاود المرور على أوجلة في عام ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م، فإنه من ناحية أخرى يذكر لنا أن قراقوش قد تلقى دعما من القاهرة في ذات السنة، فقد سير الملك المظفر تقي الدين ناصر الدين إبراهيم بن قراتكين (الذي كان قد عاد إلى القاهرة في وقت سابق) بعسكر إلى بلاد المغرب، وقد

---

(١) المقريزي: السلوك ج١ص١٧٤.

(٢) أبو شامة: الروضتين ج١ ق٢ص٦٩٢.

(٣) راجع التجاني: الرحلة ص١١٢.

وصل ناصر الدين إبراهيم بجنده إلى قراقوش واتفقا على توسيع نطاق الحملة بدلا من الاقتصار على برقة وطرابلس وما حولهما، فسارا الاثنان معا نحو مدينة الروحان قرب غدامس[1] وحاصراها أربعين يوما حتى فتحت وقتل حاكمها، وقرر قراقوش عليها أربعة عشر ألف دينار، ثم تحركا نحو مدينة غدامس وفتحها بغير قتال، وقرر قراقوش على أهلها اثني عشر ألف دينار، ثم أمر ناصر الدين بالتوجه إلى جبل نفوسة فسار إليها وملك هناك عدة حصون وقلاع وحصل على أموال كثيرة ورجال صاروا دعما للحملة التي أخذت تزداد قوتها وتأثيرها يوما بعد يوم كما أكد المقريزي في حوادث سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م[2].

ومع بدايات عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م يفيض علينا صاحب كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بمعلومات مفصلة عن تحركات حملة شرف الدين قراقوش ببلاد المغرب، وقبل الخوض في عرض تلك التفاصيل تنبغي الإشارة هنا إلى حقيقة موقف السلطة الأيوبية من تحركات الحملة ببلاد المغرب، فهي حتى الآن لم تبد اعتراضا على ذلك بل دعمت الحملة بعدد من الجند كما رأينا، كما يلاحظ أنه حتى هذا التوقيت لم يحدث احتكاك من قريب أو من بعيد بين الحملة وبين الموحدين الذين كانوا يشكلون القوة الحقيقية في الأراضي المغربية، ومن المؤكد أنهم كانوا على علم تام بتحركات شرف الدين قراقوش في منطقة

(١) غدامس: مدينة بجنوبي المغرب تجاه بلاد السودان، ومسماها أعجمي كما ذكر ياقوت الحموي، أهلها من البربر، وهي مشهورة بالجلود المدبوغة المعروفة بالجلود الغدامسية. راجع معجم البلدان ج٤ ص١٨٧.

(٢) المقريزي: السلوك ج١ ص١٧٦-١٧٧.

المغرب الأدنى شرقي بلادهم، ولكنهم تركوه لعلمهم بأن هذه البلاد تقطنها قبائل عربية من الصعب أن تخضع لسلطة مركزية وسلطان واحد على الدوام، فترك الموحدون لقائد الأيوبيين "قراقوش" مساحة التحرك في هذه المنطقة طالما أنه لم يتعرض لملكهم وسلطانهم الحقيقي ببلاد المغربين الأوسط والأدنى.

نعود إلى كتاب المضمار حيث يذكر لنا مؤلفه في حوادث عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م تحت عنوان "واقعة شرف الدين قراقوش المظفري" أن شرف الدين قد تلاقى في هذا العام مع شيوخ وأعيان قبائل "دَبّاب" الذين وصل عددهم حوالي خمسة آلاف يمثلون جمعا غفيرا من عرب بني هلال بالإضافة إلى من كان معه من الجنود الأتراك والأكراد والبالغ عددهم أربعمائة فارس، وقد وقع التحالف بين قراقوش وبين شيوخ دَبّاب فصاروا دعما قويا له[1].

وفيما يبدو أن اتفاقا قد تم بين القائد قراقوش وبين سنده الذي جاء دعما له من مصر القائد ناصر الدين إبراهيم على إيقاع الفرقة بين الأعراب، وكان الأخير قد انحاز لقبائل "زغب" العربية وانحاز بهم إلى جبل نفوسة، وكان بين هذه القبائل وبين قبائل دَبّاب منافسات وصراعات قديمة، أما قراقوش فقد رأينا انضمامه واتفاقه مع عرب دَبّاب فنراه يتحالف مع زعيمهم حميد بن جارية الذي يبدو أنه قد فهم اتفاق قراقوش مع ناصر الدين، فكان متخوفا من نوايا شرف الدين، يتضح ذلك من خلال الحوار الذي دار بينهما وأورده صاحب كتاب المضمار يذكر فيه أن شرف الدين قال

---

(١) ابن شاهنشاه الأيوبي: مضمار الحقائق ص٦٠-٦١؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٤٨.

حميد: "يا أمير إنما قصدي أن تفسد جماعة من الأتراك الذين عند إبراهيم ويقل أصحابه ونقوى عليه"، فرد عليه حميد بقوله: "يا شرف الدين أنا سلطان، إن أنت أقمت ولم تتقدم (لحرب زغب) علمت أنك وصاحبك (يقصد ناصر الدين إبراهيم) متعاملان علينا وتريد أن تصالحه وتصالح زغب، وتكونوا كلكم علينا يدا واحدة"، فقال له شرف الدين: "أرحل لأجل هذا الكلام"[1].

وعلى هذا النحو لم يثمر تحالف قراقوش مع قبائل دَبّاب العربية عن شيء حتى هذه المرحلة من تحركات الحملة، فقد شك زعيمهم حميد بن جارية في صدق نوايا قراقوش وظن أنه متحالف عليهم مع "صاحبه" ناصر الدين إبراهيم، وقد دفع هذا الشك حميد بن جارية إلى التصالح مع قبائل زغب فاتفقا الطرفان متناسيان بذلك خلافاتهما القديمة وأقدما على نهب أموال كل من قراقوش وناصر الدين إبراهيم، فلما رأى جند قراقوش ذلك خافوا على أنفسهم من أن تفتك بهم قبائل دَبّاب وزغب فهرب كثير منهم ودارت الدائرة على قراقوش الذي لم يجد من أمواله ومتاعه شيئا رغم أنه كان يحمل أثقالا كثيرة[2].

وقد دفع ما حدث شرف الدين قراقوش إلى أن يراسل حميد بن جارية ويشكو إليه ما صنعه قومه، فاعتذر له حميد بن جارية عن ذلك وأمده بمال وخيل، وبعدها عاد قراقوش إلى طرابلس في أربعين فارسا من جنده كانوا قد بقوا معه، وظنت زغب

---

(١) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص٦١؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٤٨.

(٢) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص٦٢-٦٣؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٤٨-١٤٩.

للمرة الثانية أن دبّاب قد اتفقت مع قراقوش على حربها، فسعت لإيقاع الصلح بين قراقوش وناصر الدين إبراهيم، وبالفعل تم الصلح بينهما على حد فاصل بين قراقوش وزغب هو نفوسة فما كان شرقيها لقراقوش وما كان غربيها لناصر الدين[1].

وفي الحقيقة يمكن القول بأن هذا الاتفاق والصلح لم يكن بين قائدين إنما جاءا إلى الأراضي المغربية باسم الدولة الأيوبية لإنجاز مهمة بعينها، وقد رأينا سابقا أنهما قد اتفقا على الإيقاع بالقبائل العربية، ولذلك يمكن القول بأن هذا الاتفاق كان بين قبيلتي دبّاب وزغب العربيتين، فقد أمنت دبّاب من إغارات زغب عليها غير أنها استغلت هذا الصلح للإيقاع برجال قراقوش ونهب أموالهم فكانت لا ترى أحدا منهم منفردا إلا قتلته، وقد كان قراقوش استولى على بعض القلاع بناحية جبال نفوسة منها قلاع "مقرة، ويفرن، وسباح، وأم العز"، وأسكن أهله قلعة أم العز شرقي جبل نفوسة، وقضى بقية سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م في طرابلس غير أن ما أقدمت عليه دبّاب من قتل لرجاله قد دفعه إلى التفكير في التغريب بقواته فقرر الانتقال من طرابلس إلى مدينة قابس[2] بأرض أفريقية في مطلع عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م[3].

---

(١) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص٦٣؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٤٩.

(٢) قابس: مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية ناحية الغرب على ساحل البحر، بينها وبين طرابلس ثمانية منازل فتحت مع القيروان سنة ٢٧هـ. وهي مشهورة بالفواكه والمياه الوفيرة وأشجار التوت التي توفر الحرير القابسي المعروف، وساحلها مرفأ للسفن ويسكن حواليها البربر من لواتة ولمتونة وغيرهم من القبائل. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٤ ص٢٨٩-٢٩٠.

(٣) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص٦٤؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٤٩.

والواقع أن القرار الذي اتخذه قراقوش بالانتقال من طرابلس إلى قابس إنما تم بعد أن أمن جانب قبائل زغب، وقد أخذ قراقوش العهود والمواثيق على ناصر الدين إبراهيم بقوله: "تركت هذه البلاد وأهلي بقلعة أم العز في وديعتك، وأنا متوجه فإن فتح الله علي واستغنيت عنها أعطيتك الجميع"[1].

ويشير ابن كثير إلى أن قراقوش قد حاصر مدينة فاس[2] في هذه السنة (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) وأنه استحوذ على قلاع كثيرة حولها، كما استولى على عدد من الحصون وحصل منها على مال وفير[3]، ولعل هذا يؤكد لنا وجهة النظر السابقة أن أوامرا قد صدرت من مصر لقراقوش بالاتجاه نحو الغرب بقواته، وقد يؤكد على ذلك أيضا أن قراقوش بدأ الاحتكاك بالموحدين بشكل مباشر فحاول استغلال الثورات العربية ضدهم في منطقة المغرب الأوسط لصالحه، فأخذ يؤلب أصحاب هذه القبائل على بعضهم البعض مثلما فعل مع "عثمان وفروخ" صاحبي قلعتين بأفريقية، فقد أوصل قراقوش فروخ إلى طلب مساعدته والاتفاق معه على عثمان الذي استنفر بدوره البربر قائلا لهم: "إنما هؤلاء الغز قافلة"، قاصدا بذلك تحفيزهم على ملاقاة قراقوش ورجاله، وقد ازدادت عزيمة قراقوش لهذا اللقاء بعدما انضمت إليه جموع غفيرة من

---

(١) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص٧٩؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٤٩-١٥٠.

(٢) فاس: مدينة مشهورة في بلاد المغرب، وقد تفجرت كلها بعيون تسير إلى نهر منبسط إلى الأرض، وفاس هي دار مملكة بني إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ﷺ وهي مدينتان فإحداهما بناها إدريس أحد خلفاء الأدارسة وتعرف بعدوة الأندلس (١٩٢هـ/ ٨٠٨م) والأخرى بنيت بعدها وتعرف بعدوة القروين في سنة (١٩٣هـ/ ١١٩١م) انظر: إسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٤، ص١٠٠.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ص٣٢٩.

البربر حول جبل نفوسة، وتمكن قراقوش بالفعل من دخول قلعة عثمان وأعمل السيف في رقاب أهلها من البربر، كما بطش بأعدائه من البربر حول جبل نفوسة بحجة أنهم "خوارج"، ولعله يقصد بذلك موالاتهم للخلافة الموحدية التي لا تعترف بسلطان الخلافة العباسية السنية، وقد اضطر عثمان في النهاية إلى قبول الصلح وطلب الأمان من قراقوش، فأعطاه قراقوش أمانا مشروطا أن يترك له منطقة الجبل بجوار القلعة يجعلها إقطاعا لجنده، فوافق عثمان على ذلك وحصل من بقي من أهل القلعة على أمان لهم مقابل مبلغ من المال، وبعدها رحل قراقوش إلى قلعة أخرى تسمى قلعة "أم لامة" يبلغ عدد سكانها عشرين ألفا من البربر، فقاتلهم وغنم منهم غنائم وفيرة، كل ذلك في عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م[١].

وتجدر الإشارة إلى أن المنطقة الشرقية من المغرب الأقصى قد شهدت اندلاع ثورة علي بن المعز بن المعتز الرندي[٢] ضد الموحدين، وقد سانده في هذه الثورة أبناء مدينة قفصة[٣]، بسبب الظلم الذي تعرض له أهل المدينة من الموحدين، وقد تمكن ابن الرند من استخلاص المدينة من أيدي الموحدين في شوال سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م[٤]،

(١) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص٧٩-٨٠؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٥٠.

(٢) بنو الرند: أسرة معروفة كانت تتولى حكم مدينة قفصة في عهد المرابطين، وكان أول حكامهم على المدينة عبد الله ابن محمد الرند (٤٤٥-٤٦٦هـ/ ١٠٥٣-١٠٧٣م)، وكان الموحدون قد أطاحوا بهذه الأسرة من المدينة فعمل علي بن المعز بن المعتز الرندي على استعادة ملك أسرته على ما هو مذكور بمتن البحث. راجع النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٢٥، علي الصلابي: دولة الموحدين ص١١٣

(٣) قفصة: اسم أعجمي يطلق على البلدة الصغيرة الواقعة في طرف أفريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام، وهي أكثر بلاد أفريقية فستقا يحمل منها إلى كل بلاد أفريقية والأندلس. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٤ص٣٨٢-٣٨٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، ج٥ص١٠٧.

(٤) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ج٢٤ص٣٢٥.

وساعده في ذلك تحركات شرف الدين قراقوش في المنطقة التي شغلت الموحدين عن مدينة قفصة إلى حين[1]، وخشي الموحدون من ازدياد نفوذ قراقوش وقوته وذيوع صيته على حسابهم، وبخاصة بعدما تحالفت معه القبائل العربية من بني هلال وبني سليم، فخاف خليفتهم يوسف بن عبد المؤمن من تكوين حلف ثلاثي يجمع قراقوش مع العرب وابن الرند الثائر في قفصة، ولذلك تحرك على رأس جيش كبير من مراكش في عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م وتمكن من دخول قفصة في مطلع العام التالي (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) بعدما قضى على ثورة ابن الرند واصطحبه معه أسيرا إلى مراكش والذي قدم اعتذارا وطلب العفو والأمان من خليفة الموحدين[2]، وبذلك قطع الموحدون طريق تحالف قراقوش مع أعدائهم الداخليين، كما قضوا بذلك على أعمال التمرد على سلطانهم في منطقة المغرب الأوسط.

وقد قراقوش فقد رحل عن قفصة إلى أفريقية سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م[3] ونزل على مدينة الأُرْبُس[4]، وتجمع حوله عدد من العرب من مرداس والرجال (من بطون قبيلة رياح) غير أنه لم يتمكن من فتح المدينة، ثم عاد عنها إلى قفصة بعدما كاتبه بعض شيوخها وواعدوه ليلة بعينها انتقاما من الموحدين الذين كانوا قد انتزعوها من ابن

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١٠ص١٠٣؛ علي الصلابي: دولة الموحدين ص١١٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج١٠ص١٠٣-١٠٤؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٢٥-٣٢٦؛ علي الصلابي: دولة الموحدين ص١١٤.

(٣) تجدر الإشارة إلى أن أبا شامة وابن كثير وابن خلدون قد أوردوا تحركات قراقوش في منطقة المغرب الأوسط خلال هذه السنة (٥٧٧هـ/ ١١٨١م) ولكن باختصار شديد جدا دون أية تفاصيل. انظر أبا شامة: الروضتين ج٢ص٢٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ص٣٠؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص٤٩٤.

(٤) الأُرْبُس: كما ضبطها ياقوت الحموي، مدينة بأفريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب، مشهورة بالزعفران ومعدن الحديد. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج١ص١٣٦.

الرند كما سبق القول، ولم يتمكن قراقوش في الليلة الموعودة من دخول المدينة أو اقتحامها رغم وفرة جنده، فلقد شعر الموحدون بهم وشتتوا شملهم ورحل قراقوش عن المدينة[1].

وقد توج شرف الدين قراقوش فتوحاته في عام ٥٧٧هـ/ ١١٨١م بالوصول إلى القيروان[2] وتحقيق أول انتصار على قوات عسكرية تابعة للموحدين، ورغم أنه لم يدخل مدينة القيروان نفسها آنذاك، فإنه قد نزل على مقربة شديدة منها في موضع يقال له "سكة"، وكان بصحبته جمع كبير من العرب المتمردين علي الموحدين يقودهم سليم الشريد، ووصل إليه في ذلك الموضع زعيم قبائل دبّاب حميد بن جارية وفي صحبته مائتا فارس من قومه، وما أن تقابل القائدان العربيان (حميد وسليم) حتى نشب القتال بينهما لخصومة قديمة كانت بينهما، ولو أنهما تناسوا هذا الخلاف لاستفاد من تعاونهما قراقوش استفادة كبيرة، ولكنه لم يجد بدا من الانضمام لحليفه القديم حميد بن جارية، في حين انسحب مشايخ الشريد من حول سليم وتركوه وحيدا يلاقي مصيره أمام القوات الموحدية التي ظهرت آنذاك بقيادة أبي موسى بن عبد المؤمن في نحو عشرة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل من قوات الموحدين، فسعى قراقوش إلى التصالح مع قوات سليم الشريد للاستفادة منها، وقد تمكن بهذه القوات المتجمعة حوله من تحقيق الانتصار على قوات الموحدين بالفعل، وغنم منهم غنائم وفيرة وأسر عددا من قياداتهم كان من بينهم "ابن مثنى" صاحب ديوان أفريقية والقاضي "ابن

---

(١) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص٩٣-٩٤؛ د. ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحّدية والمشرق الإسلامي ص١٥٠-١٥١.

(٢) القيروان: مدينة مشهورة معروفة من أكبر المدن العامرة وأقدمها بأرض أفريقية، مصرت في أيام معاوية بن أبي سفيان، وخرج منها جماعة من أهل العلم والفضل. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٤ ص٤٢٠-٤٢١.

ماسكة" قاضي أفريقية وغيرهما، وقد حاول هؤلاء افتداء أنفسهم بالمال فافتداهم قراقوش وقسم الغنائم على جنده الأتراك والأكراد دون الأعراب[١].

وفيما بين المهدية[٢] والقيروان نزل شرف الدين قراقوش بقواته، وهناك وصلته الأنباء بغدر ناصر الدين إبراهيم ونكثه بأهله بقلعة أم العز فقرر العودة، وفي طريقه تلقى طاعة كل من دبّاب وزغب، أما إبراهيم فلم يسعه بعد سلسلة من المحاولات لمواجهة قراقوش إلا أن يطلب العفو، وأراد قراقوش أن يأمن جانبه على الدوام فقرر أن يقوم بترحيله إلى طرابلس ومنها يعيده إلى القاهرة، وفي طرابلس تمت الحيلة لمنع ناصر الدين إبراهيم من السفر إلى مصر، وذلك عندما حثه والى المدينة (ابن مطروح عبد المجيد وكان يوالي الموحدين) على التوجه إلى بلاد المغرب لملاقاة الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بمراكش، وبالفعل استقل ناصر الدين مركبا انتقلت به من طرابلس إلى تونس حيث استقبله واليها وسيره إلى مراكش[٣]، وقد غدر به الخليفة الموحدي المنصور وقتله ذبحا فيما بعد مع جماعة من جنده، وذلك عندما هاجم مدينة قفصة في عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م[٤].

---

(١) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص٩٥-٩٦؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٥١.

(٢) المهدية: اسم لموضعين الأولى بأفريقية، والثانية اختطها عبد المؤمن بن علي قرب سلا، والمهدية المقصودة هنا مدينة صغيرة منسوبة إلى عبيد الله المهدي يحيط بها البحر من ثلاث جهات، لها سور من حجارة، ولها بابان، كثيرة القصور، نظيفة المنازل والدور. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٥ص٢٢٩-٢٣٠؛ إسماعيل العربي: المدن المغربية ص٢٥٠-٢٥١.

(٣) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص٩٦-٩٨؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٥١-١٥٢.

(٤) التجاني: الرحلة ص١١٤، ص١٣٨.

أما شرف الدين قراقوش فقد غنم ما كان بيد إبراهيم وأضاف ما كان قد ملكه إلى ما كان بيده، وهنا أحس زعيم دبّاب بأن قراقوش قد صالح زغب فأظهر العداء له وأخذ يغدر برجاله الأتراك والأكراد فيقتلهم ويغير على مراعيهم وأموالهم وقوافلهم، فأرسل شرف الدين إليه يقول: "إن أردت صداقتي ترد ما أخذته قبيلتك"، فقال حميد: "لا قدرة لي على ذلك"، فقال شرف الدين: "انعزل عنهم بمن أطاعك" فأبى، أما غالبية قبائل دبّاب فقد رأوا المصلحة في مصالحة قراقوش خلافا لزعيمهم حميد بن جارية فقد كانوا- كما يقول صحاب المضمار- "إذا رأوا حميدا قد عادى ملكا أطاعوه، وإذا صادق ملكا بغضوه"[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الانتصارات والفتوحات التي نجح قراقوش في تحقيها حتى هذا التاريخ قد وصلت أخبارها إلى مصر، فالمقريزي يذكر لنا في حوادث سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م أن ناصر الدين إبراهيم السلاح دار كان قد بعث بكتاب إلى مصر يذكر فيه ما فتحته الحملة ببلاد المغرب مشيرا إلى إقامة الخطبة باسم السلطان الأيوبي صلاح الدين وسك العملة باسمه في هذه البلاد[2].

ومن المهم هنا أن نذكر أهمية وقوف السلطة الأيوبية على حقيقة ما تم إنجازه من فتوحات وانتصارات باسمها في الأراضي المغربية وبخاصة بعد أول احتكاك بين قائدها شرف الدين قراقوش والموحدين في هذا التوقيت، ورواية المقريزي السابقة تكشف لنا بوضوح حجم هذه الانتصارات التي توجت بإقامة الخطبة وسك العملة

---

(١) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص٩٨.

(٢) المقريزي: السلوك ج١ ص١٨٦.

باسم سلطان الدولة الأيوبية، وهو ما يعبر عن حقيقتين غاية في الأهمية: الأولى: التأكيد على أن ما تحققه الحملة في بلاد المغرب يهدف في المقام الأول إلى إعلاء شأن الدولة الأيوبية وتوسيع ملكها، والثانية: أن سكان البلاد التي أقيمت فيها الخطبة وسكت بها العملة للأيوبيين قد قبلوا بحكم الأيوبيين المناصرين للخلافة العباسية في بلادهم معترفين بشرعية ذلك على حكم خلافة الموحدين.

وعلى أية حال فقد اتضح لنا أن قائد الحملة شرف الدين قراقوش كان حريصا على وحدة صف القيادة فيها تحت لوائه، ومن ثم رأيناه يصمم على إعادة ناصر الدين إبراهيم السلاح دار إلى مصر بعدما رأى منه غدرا ومنافسة ليست في مصلحة الحملة ولا تساعد في تحقيق أهدافها[1]، ومن المحتمل أن ناصر الدين كان قد بعث بكتابه إلى مصر قبل عودة قراقوش من ناحية القيروان لمواجهته عندما علم بغدره بأهل قراقوش بقلعة أم العز كما سبق القول، وهنا تظهر للمرة الأولى محايلة الموحدين وأتباعهم في استمالة قادة الأيوبيين في المغرب، وقد نجحوا في ذلك بالفعل عندما أثنوا ناصر الدين عن السفر إلى مصر وسيروه إلى مراكش ليختفي ذكره تماما خلال الأحداث التالية مما يرجح أنهم قد غدروا به.

---

(١) من المهم هنا أن نذكر أن الدكتوره ابتسام مرعي قد جعلت ناصر الدين إبراهيم السلاح دار زعيما لقبيلة زغب العربية في مواجهة قبيلة دباب، ولم تشر مطلقا إلى أنه قد بعث من مصر في وقت سابق دعما لشرف الدين قراقوش، راجع كتابها العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٤٨، والحقيقة أن ناصر الدين إبراهيم من مماليك الأيوبيين وأنه قد جاء دعما لحملة قراقوش في عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م كما ذكر صاحب كتاب مضمار الحقائق المصدر الذي اعتمدت الدكتورة ابتسام عليه. راجع مضمار الحقائق ص٦١.

وجدير بالذكر أن المصادر المتاحة ومنها كتاب المضمار قد خلت من أية إشارة إلى حملة شرف الدين قراقوش أو تحركاتها خلال حوادث عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م، وفيما يبدو أنه قد أخذ يعد العدة خلال تلك الفترة لمعاودة الهجوم على أملاك الدولة الموحدية بأفريقية، ويشير صاحب كتاب المضمار إلى أن شرف الدين قد رحل في مطلع عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م من نفوسة إلى قابس واشتبك مع أهلها من البربر وأوقع بهم الهزيمة وغنم منهم أموالا وفيرة وزعها على أجناده[١]، ويشير كذلك إلى أن شرف الدين قد قضى أسبوعا على الساحل يأخذ من أمتعة وتجارة الروم، وبعدها عاد ليستأنف فتوحاته فحاصر إحدى القلاع بناحية قابس تدعى قلعة "حسن" حيث حاصرها قراقوش شهرا ودبر الحيل لأخذها إلى أن سقطت في يده عنوة[٢]، وحصل منها على أموال وفيرة وغلات ساعد بها على رفع الغلاء الذي كان قد انتشر في مدينة نفوسة ذلك العام[٣].

ومن قلعة "حسن" اتجه قراقوش إلى قلعة أخرى تعرف بقلعة "أم أدوت" فأقام عليها أياما وراسل أهلها في الاستسلام فأبوا، فظل محاصرا لها حتى ألجأهم إلى طلب الأمان والاستسلام بأنفسهم[٤].

---

(١) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص١٩٠؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٥٢.

(٢) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص١٩٠-١٩١، وهو يبالغ فيقول أن شرف الدين قراقوش قد أخذ من البربر بهذه القلعة ألفين وثمانمائة رجل قتلهم جميعا في يوم واحد.

(٣) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص١٩٢.

(٤) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص١٩٢.

وبعد هذا النجاح المستمر لحملة قراقوش، وخلال رحلة عودته من قابس إلى نفوسة استدعاه المنصور أخو سيد الناس (مقدم رئيس نفزاوة[١])، وكان بنو بشترى[٢] قد أطاعوه (وهم أعداء للمنصور) فولى عليهم قراقوش مملوكا من أتباعه يدعى "حراج"، وحاول المنصور استمالة قراقوش والتحالف معه لما رأى من قوة مركزه وازدياد نفوذه يوما بعد يوم[٣].

ومما زاد من قوة الحملة وازدياد نفوذ قائدها قراقوش الإمدادات التي كانت تأتيه من مصر، فقد وصل إليه في هذا العام (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) جماعة من الجند يرأسهم "شجاع الدين بن شكل"، وفضلا عن أن هذا الدعم يكشف لنا حقيقة الاتصال بين الأيوبيين وقادتهم في بلاد المغرب؛ فإنه يعكس من جهة أخرى حرص السلطة الأيوبية على متابعة تحركات الحملة ومعرفة ما حققته من إنجازات ومساعدتها بالجند وقت الحاجة، ومن المحتمل أن الملك المظفر تقي الدين عمر هو من بادر بإرسال هذا المدد إلى مملوكه قراقوش بعد أن تولى هو ولاية مصر وأعمالها في هذا العام بمرسوم من السلطان صلاح الدين الأيوبي وفق ما ذكره ابنه المنصور محمد بن تقي الدين صاحب كتاب المضمار في حوادث ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م[٤].

---

(١) نفزاوة: مدينة هامة من أعمال أفريقية بينها وبين قفصة مرحلتان. ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، (ط١) بيروت، دار المعرفة ١٩٥٤م، ج٣ص١٣٨٢.

(٢) بُشْتَرَى: كما ضبطها صاحب مراصد الاطلاع (ج١ص١٩٩) واكتفى فقط بقولها أنها: مدينة بأفريقية.

(٣) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص١٩٣؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٥٢-١٥٣.

(٤) راجع مضمار الحقائق وسر الخلائق ص١٨٠-١٨٤.

وقد زاد هذا الدعم من قوة حملة قراقوش فغدت القوة الأساسية لجنده ثمانمائة فارس من الأتراك والأكراد غير حلفائه من العرب والبربر، كما أنه أحسن إلى شجاع الدين بن شكل ومماليكه وبذل لهم الخير الكثير حتى إنه وعده بقوله: "إذا فتح الله البلاد وملكناها أعطيتك ما هو أكثر من هذا وأعظم"، وذلك بعد أن خلع عليه وأعطاه خمسين جملا وعشرة من الخيل وثمانية آلاف دينار[1].

ويشير كل من ابن الأثير[2] وأبو الفداء[3] والمقريزي[4] إلى مراسلات تمت بين شرف الدين قراقوش وبين سيده الملك المظفر تقي الدين عمر بمصر في حوادث عام ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م، وذلك عندما أراد الملك المظفر الخروج من مصر واللحاق بمملوكه شرف الدين ببلاد المغرب بعد أن رغّبه الأخير في ذلك، وقد أشار ابن الأثير إلى السبب الحقيقي وراء هذا الأمر فذكر أن السلطان صلاح الدين كان قد عزل الملك المظفر عن ولاية مصر في هذه السنة بعدما شكا إليه الأخير الملك الأفضل علي بن صلاح الدين الذي كان والده قد جعله على ولاية الخراج بالديار المصرية، فأرسل تقي الدين إلى صلاح الدين يشكو عجز الأفضل وتسامحه الزائد في جباية الخراج، وقد شك السلطان صلاح الدين في نوايا ابن أخيه الملك المظفر فظن أنه إنما يريد إخراج ولد صلاح الدين منها لينفرد بحكمها إذا ما مات صلاح الدين، ولما قويت هذه الخاطرة

---

(١) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص١٩٣-١٩٤؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٥٣ (حاشية ٤٤).

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج١٠ ص١٣٩.

(٣) المختصر في أخبار البشر ج٣ص٧٠.

(٤) المقريزي: السلوك ج١ ص٢٠٥.

عنده استدعى صلاح الدين أخاه العادل من ولاية حلب وسيره إلى مصر بصحبة العزيز عثمان بن صلاح الدين، وعزل عنها المظفر تقي الدين عمر واستدعاه إلى دمشق، فغضب تقي الدين وامتنع عن الذهاب وقرر اللحاق بمملوكه قراقوش في بلاد المغرب[١]، فقال صلاح الدين: "لعمري إن فتح المغرب مهم لكن فتح بيت المقدس أهم وإذا توجه تقي الدين واستصحب معه رجالنا المعروفة ذهب العمر في اقتناء الرجال وإذا فتحنا القدس والساحل طوينا إلى تلك الممالك المراحل"[٢].

وبعد أن تجهز المظفر تقي الدين للمسير إلى بلاد المغرب وأرسل في مقدمته أحد مماليكه ويدعى "بوزابة"[٣] إلى قراقوش، أرسل إليه السلطان صلاح الدين يقول له: "أريد أن تحضر عندي لأودعك وأوصيك بما تفعله"، فلما حضر عنده منعه من السفر إلى بلاد المغرب وزاد في إقطاعه فصار إقطاعه: حماة ومنبج والمعرة وكفر طاب وجبل جور وأضيف إلى ذلك ميافارقين بجميع أعمالها، فاستقر تقي الدين على إقطاعه الجديد وصرف النظر عن الذهاب إلى بلاد المغرب[٤].

ويكشف لنا هذا الموقف بين صلاح الدين وابن أخيه الملك المظفر عن عدة أمور مهمة منها:

---

(١) المختصر في أخبار البشر ج٣ص٧٠.

(٢) أبو شامة: الروضتين ج٣ص١٦٦.

(٣) يسميه المقريزي "زين الدين بوري" . انظر السلوك ج١ص٢٠٥.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج١٠ص١٣٩؛ ابن شداد: سيرة صلاح الدين ص٤٧-٤٨، ص٢٣١-٢٣٢؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ج٣ص٧٠؛ المقريزي: السلوك ج١ص٢٠٥.

١- التأكيد على رغبة الملك المظفر تقي الدين في أن يكون له دور في اتساع ملك الأسرة الأيوبية ببلاد المغرب كما سبق القول.

٢- عدم إبداء السلطان صلاح الدين أي اعتراض على وجود شرف الدين قراقوش أو تحركاته في بلاد المغرب رغم علمه بما قد يسببه له ذلك من سوء للعلاقة مع جيرانه الموحدين مما يؤكد موافقته على ما يفعله قراقوش هناك، بل هو يرى – كما قال- أن فتح المغرب باسم الأيوبيين "مهم"، غير أن فتح بيت المقدس "أهم"، وكان صلاح الدين يعد العدة لملاقاة الصليبيين في موقعة حطين كما هو معروف، ولذلك نراه "فقط" يحاول استرضاء ابن أخيه الملك المظفر بزيادة إقطاعه بعد أن عزله عن ولاية مصر حتى لا يفقد بذهابه إلى المغرب عددا من الجند.

٣- أن هناك مددا جديدا قد وصل من مصر إلى قراقوش في المغرب يقود القائد "بوزابة"، وأن هذا الدعم سوف يكون سندا لقراقوش في مواجهة الموحدين[١]، ولذلك نراه يقرر مواجهتهم بشكل مباشر مستغلا في ذلك ثورة بني غانية أصحاب جزيرة ميورقة ضدهم، وهذا ما سنحاول أن نلقي عليه الضوء في السطور القادمة.

---

(١) انظر النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٢٩.

تحالف شرف الدين قراقوش مع بني غانية[1] على الموحدين وأثره:

بذلت أسرة بني غانيّة جهدا كبيرا في الدفاع عن سلطان دولة المرابطين الزائلة والتصدي للموحدين الذين كانوا قد أزالوا حكم المرابطين وقضوا على دولتهم، وقد راح مؤسس هذه الأسرة أبو زكريا يحي بن علي بن غانية ضحية هذا الصراع بين المرابطين والموحدين حيث قتل في إحدى المعارك بينهما في عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م[2]، ثم هرب أولاده إلى عمهم محمد بن غانية المسوفي صاحب جزر البليار (في البحر شرقي الأندلس) واشتركوا معه في محاربة الموحدين[3]، وقد ظلوا في الحقيقة شوكة في جنب الدولة الموحدية ولم ينته أمرهم تماما إلى في أيام الخليفة الموحدي محمد الناصر

---

(١) بنـو غانيّة: (بتشديد الياء) من قبيلة مسوفة المرابطية ثانية القبائل الصنهاجية الكبرى التي قام عليها ملك المرابطين بعد قبيلة لمتونة، وقد سموا بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسهم الذي ينسب إلى أمه، وكانت من غانة فهي "غنية"، وكانت النسبة إلى الأم شائعة في العصر المرابطي، وكان موطنهم الأول في الجزر الشرقية (جزر البليار حاليا) حيث سكنوا هناك عندما أرسل الأمير المرابطي (علي بن يوسف ٥٠٠- ٥٣٧هـ/ ١١٠٦-١١٤٢م) محمد بن غانية ليحكم هناك باسم المرابطين في حدود سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٥م وأول من اشتهر وعرف من هذه الأسرة هو أبو زكريا يحي بن علي بن غانية المتوفى ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م . راجع: المراكشي: المعجب ص٢٢٣-٢٢٦؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص١٩٠، ص٢٤٢؛ السلاوي: الاستقصا ج٢ص٦٨؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، (ط١) الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٣م، ج٢ص٢٠٥؛ علي قنبر إلياس: أسرة بني غانية ودورهم السياسي والعسكري في التصدي لدولة الموحدين بالمغرب والأندلس ص٨٨-٨٩، وانظر عنهم كذلك:

Jacques Thiry: Le Sahara Libyen Medieval, pp. 74-81,
Michael Brett: The Way of the Nomad, p: 265.

(٢) راجع ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢ص٢٠٥؛ ابن عذاري: نص جديد من كتاب البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب (تاريخ الموحدين) نشره عبد القادر زمامة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد (٤-٥) ١٩٨٠م، ص٣٠٩.

(٣) راجع ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢ص٢٠٥ هامش (٢)

(٥٩٥-٦١٠هـ/ ١١٩٨-١٢١٣م)رابع حكام الدولة الموحدية بالمغرب والأندلس[١].

ومع مرور الوقت سيطرت هذه الأسرة على جزيرة ميورقة وأخذوا يتحينون الفرص للثورة على الموحدين وإعادة حكم المرابطين، وفي هذا الإطار حاول بنو غانية أن يجدوا لهم حلفاءً في بلاد المغرب يكونوا دعما لهم في الوقوف ضد الموحدين.

وقد خرج زعيمهم علي بن إسحاق بن غانية بجيش من جزيرة ميورقة واتجه إلى بلاد المغرب قاصدا مدينة بجاية[٢] تلبية لنداء جماعة من أعيانها للثورة ودخل المغرب وسيطر على المدينة في شعبان سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، وعينه الأهالي واليا عليهم[٣].

وقد اجتمعت عدة أسباب شجعت علي بن إسحاق بن غانية على الدخول إلى بلاد المغرب والسيطرة على مدينة بجاية منها:

١- بعد مدينة بجاية نفسها عن مقر الجيش الموحدي الذي كان يستعد آنذاك لمحاربة الأسبان.

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، (ط١) مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٧٣م، ج١ص٣١١؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢ص٢٠٥ هامش (١).

(٢) بجـاية: مدينة على ساحل البحر بين أفريقية والمغرب، وهي قاعدة المغرب الأوسط كما قال القلقشندي (صبح الأعشى ج٥ص١٠٨) أنشأها للمرة الأولى الناصر بن علنان بن حماد بن زيري في حدود سنة ٤٥٧هـ، ومن أسمائها كذلك الناصرية نسبة إليه، وكانت الجبال في قبلتها قاعدة ملك بني حماد، ومن بجاية تركب السفن إلى جميع الجهات. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان ج١ص٣٣٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج١٠ص١٣٩؛ المراكشي: المعجب ص٢٢٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٧ ص٤؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص٢٤٢؛ ؛ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص١٥؛ السلاوي: الاستقصا ج٢ص١٥٩-١٦٠.

٢- وفاة الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن وانشغال الموحدين بالبيعة لولده يعقوب (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٨م)[١].

٣- التحالف مع القبائل العربية من بني هلال وبني سليم الذين كانوا لا يخضعون للموحدين.

٤- التحالف مع قائد الأيوبيين ببلاد المغرب شرف الدين قراقوش التقوي.[٢]

وهكذا تم التحالف بين الأطراف الثلاثة على تحقيق هدف ثورة بني غانية المتمثل في مواجهة الموحدين والسعي للقضاء عليهم وإعادة ملك الدولة المرابطية، ووفق هذا التحالف تمت مبايعة علي بن إسحاق بن غانية وتلقيبه بلقب "أمير المسلمين" وهو لقب خلفاء المرابطين الذين ينتمي هو إليهم[٣].

وقد تم هذا التحالف على أسس قوية قوامها الرابطة السياسية المنبثقة عن الولاء للخلافة العباسية والاتفاق على تقسيم بلاد المغرب بين شرف الدين قراقوش وبني غانية، وقد عبر رسول ابن غانية إلى قراقوش عن ذلك بقوله: "إننا قوم من بني العباس ونريد دولتهم، ونحن نريد وإياك أن نكون مجتمعين"، كما تم الاتفاق على أن

---

(١) النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٢٨؛ أحمد الأنصاري الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣٦؛ علي قنبر إلياس: أسرة بني غانية ودرورهم في التصدي للموحدين ص٩٧.

(٢) النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٢٩؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص٤٩٧؛ السيد سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٧١٢، ص٧١٦، كذلك راجع:

Jacques Thiry: Le Sahara Libyen Medieval, p. 79-80.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج١٠ص١٣٦؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٢٩؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص١٩٢؛ خليل السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣٠٥.

يكون لقراقوش البلاد من بونة شرقا ولابن غانية من بونة غربا، وما فتحوه كان قسمة بينهما[١].

وتأكيدا لقضية الولاء المشترك والتبعية لخلافة العباسيين أعلن أمير بني غانية الخطبة باسم الخليفة الناصر لدين الله العباسي على منابر مدينة بجاية وذلك في عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م[٢].

والمهم هنا أن نقف على أهمية هذا التحالف بالنسبة لحملة قراقوش ودوره خلال الأحداث المقبلة، فابن الأثير يشير إلى أن تحالف قراقوش مع بني غانية قد "كثّر جمعهم، وقوى شوكتهم، وبلغت عدتهم مبلغا كثيرا وكلهم كاره لدولة الموحدين"[٣].

وبفضل هذا التحالف تمكن قراقوش وبنو غانية[٤] من إخضاع مدن كثيرة كانت تابعة لدولة الموحدين وسلطانهم، ويشير ابن الأثير إلى أنهم "ملكوا أفريقية جميعها

---

(١) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص٢٥٥-٢٥٦؛ د. خليل السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣٠٥، ص٣١٨؛ ابتسام مرعي: العلاقة بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٥٢، وراجع الخريطة بالملحق (١).

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج١٠ص١٣٦؛ المراكشي: المعجب ص٢٢٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى ج٥ص١٢٦؛ السلاوي: الاستقصا ج٢ص١٥٩؛ خليل السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣٠٤؛ علي الصلابي: دولة الموحدين ص١٢٨-١٢٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج١٠ ص١٣٦؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣٧.

(٤) يلاحظ أن المؤرخ عبد الواحد المراكشي (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) لم يشر من قريب أو من بعيد إلى هذا التحالف بين قراقوش وبني غانية فلم يذكر أن شرف الدين كان حليفا لهم خلال صراعهم مع الموحدين. راجع كتابه المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص٢٢٣-٢٢٩؛ بل إنه يشير في موضع آخر إلى أن الموحدين كانوا يعاملون قراقوش ومن معه من الغز الأتراك معاملة طيبة وأن خليفة الموحدين قد بالغ في إكرامهم. انظر المعجب ص٢٣٨.

شرقا وغربا" عدا مدينتي المهدية وتونس، حيث أقام الموحدون بهما وحفظوهما من قراقوش وبني غانية[1].

وبعد هذا الانتصار على الموحدين أرسل علي بن غانية ابنه مع كاتبه "عبد البر بن مرشان" إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله (ت٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) لإعلان التبعية وطلبا للخلع والأعلام السوداء[2]، وفي بغداد رحب الخليفة العباسي برسل ابن غانية إليه، وبدوره طالب الخليفةُ العباسي السلطانَ صلاح الدين الأيوبي أن يناصر بني غانية ويدعم تحركاتهم ضد الموحدين في بلاد المغرب، فكتب صلاح الدين على الفور إلى قائد الحملة الأيوبية هناك شرف الدين قراقوش يأمره بالتعاون مع بني غانية وإعلاء شأن الخلافة العباسية[3].

أما الخليفة الموحدي الجديد أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٩٨-١٢١٣م) فكان من أول أعماله الشروع في القضاء على ثورة بني غانية وتفكيك تحالفهم مع قراقوش، وفي هذا الإطار بدأ الخليفة أولا بإرسال العيون والأعوان لتنفيذ المهمة فلم ينجح الأمر[4]، فأدرك الخليفة خطورة الموقف فأرسل على

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج١٠ص١٣٦؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٢٩؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣٧؛ خليل السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣٠٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج١٠ص١٣٧؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣٧؛ السيد سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٧١٦-٧١٧.

(٣) أحمد الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣٧؛ سعد زغلول عبد الحميد: العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي والمنصور الموحدي ص٩٥-٩٦؛ خليل السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣٠٥.

(٤) علي الصلابي: دولة الموحدين ص١٢٩.

الفور جيشا بريا كبيرا مكونا من عشرين ألف فارس بقيادة أخيه السيد أبي الحسن يعقوب بن أبي حفص بن عبد المؤمن مدعما بأسطول بحري بقيادة أحمد الصقلي، وقد نجحت القوات الموحدية في دخول بجاية وتدمير أسطول ابن غانية في عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م[١].

وهرب ابن غانية ملتحقا بأخيه يحي الذي كان يحاصر آنذاك مدينة قسنطينة[٢] فتركها وهرب إلى الصحراء ومنها إلى مدينة قفصية وسيطر عليها متخذا منها مركزا جديدا لقواته حيث سيطر بعدها على جزيرة باشرا[٣] قرب تونس، كما سيطر على قرى أخرى كثيرة فنهب جيشه ورجاله أموال الناس وغلاتهم فيها[٤].

---

(١) النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٢٩-٣٣٠؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص٢٤٣؛ الحميري: الروض المعطار ص٥٦٨؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣٧؛ علي قنبر إلياس: أسرة بني غانية ص٩٩.

(٢) قسنطينة: مدينة مشهورة بأرض أفريقية بينها وبين بجاية ستة أيام، وهي مدينة كثيرة الخصب والخيرات موصوفة بالمنعة والحصانة، تقع على جبل كبير من حجر الصلد، ويذكر أنها من بناء الروم. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٤ص٣٤٩، ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٣ص١٠٩٢-١٠٩٣؛ الحميري: الروض المعطار ص٤٨٠.

(٣) باشرا: لعلها باشو التي قال عنها التجاني أنها منزل جزيرة شريك، وأنها بلد عامر قرب تونس. انظر رحلة التجاني ص١٣-١٤، وقارن بما ذكره ياقوت الحموي (معجم البلدان ج١ ص٣٢٤) حيث قال أن باشو تبعد مقدار مرحلة عن القيروان.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج١٠ ص١٣٦-١٣٧؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣٦-١٣٧؛ علي قنبر إلياس: أسرة بني غانية ص٩٩-١٠٠.

ويشير ابن الأثير إلى أن بني غانية قد استعانوا بقراقوش وقواته في فتح مدينة قفصة وإدارتها بعد ذلك، حيث تركوا فيها جندا من "الأتراك" أتباع قراقوش[1]، وتؤكد هذه الرواية على أن التحالف والميثاق الذي كان بين الطرفين قد خرج إلى حيز التنفيذ فعلا، كما يتضح أن قراقوش كان حريصا على وجود أتباعه في كل موضع يسقط في يد حلفائه من بني غانية، فانتصارهم هو انتصار له وإعلاء لشأن الخلافة العباسية وسلطانها في بلاد المغرب.

على أية حال ما أن وصلت أخبار سقوط مدينة قفصة في أيدي بني غانية وحليفهم قراقوش حيث سارع الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بقيادة عشرين ألف فارس مرة أخرى للقضاء تماما على هذه الثورة، وقد اتجه الخليفة بجنوده تجاه تونس وأرسل من هناك ستة آلاف فارس بقيادة ابن أخيه لملاقاة ابن غانية في قفصة، فالتقى الطرفان في يوم الجمعة ١٦ ربيع الأول ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م بموضع يقال له "وطأة عمر" غربي قفصة[2]، وقد تمكن بنو غانية وقراقوش من تحقيق النصر على الموحدين وقتل عدد كبير من جيشهم، بينما هرب من نجا منهم إلى تونس[3].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج١٠ ص١٣٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج١٠ص١٣٦-١٣٧؛ المراكشي: المعجب ص٢٢٧؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب ص١٣٦-١٣٧؛ علي قنبر إلياس: أسرة بني غانية ص٩٩-١٠٠.

(٣) ابن عذارى: نص جديد من كتاب البيان المغرب ص٣٤٨؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٢٩-٣٣٠؛ الحميري: الروض المعطار ص٢٠٠-٢٠١، ص٥٦٨؛ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص٣٦٠؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٧١٨؛ خليل السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣٠٥.

ويرجع ابن الأثير سبب هذه الهزيمة إلى "وجود جماعة من الترك" في جيش الموحدين مشير إلى أن هؤلاء الأتراك قد "خامروا" على الموحدين[1]، ولعله يقصد بذلك أنهم قد مالوا إلى بني جلدتهم من الأتراك المرافقين لشرف الدين قراقوش فوقعت الهزيمة على الموحدين.

وقد أسفر هذا الانتصار عن نتائج غاية في الأهمية منها :-

١- دخول قراقوش مدينة القيروان والسيطرة عليها.

٢- إقامة الخطبة للسلطان الأيوبي صلاح الدين في البلاد التي سيطرت قوات قراقوش عليها[2].

وقد تلقى الخليفة الموحدي خبر هزيمة جنده أمام بني غانية وحليفهم قراقوش للمرة الثانية بمزيد من الضيق، فبادر على الفور بالتحرك للقائهم، وكان آنذاك بظاهر مدينة تونس، والتقى الطرفان في موقعة قوية في شعبان سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م عرفت بموقعة "الحامة" نسبة إلى الموضع الذي وقعت عنده ويعرف بـ"حمة مطماطة"[3]، ودارت الدائرة هذه المرة على بني غانية وحليفهم قراقوش، وتم قتل عدد كبير من

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١٠ ص١٣٧، وراجع كذلك النويري: نهاية الأرب ج٢٤ ص٣٣٠.

(٢) راجع ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر ج٧ص٨٣؛ المقريزي: السلوك ج١ص٢١٢.

(٣) حمة مطماطة: مدينة قديمة بأفريقية من أعمال قسنطينة من نواحي بلاد الجريد بالقرب من قابس، سكانها من البربر يعرفون بالمطماطة، وسميت بالحمة لأن بها حمة عظيمة مشهورة، وعليها هزم الخليفة الموحدي يعقوب المنصور أمير ميورقة ابن غانية واستأصل شأفته. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢ص١٨٥؛ ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع ج١ص٤٢٧؛ الحميري: الروض المعطار ص٨٠.

أتباعهما، بينما هرب شرف الدين قراقوش، وفر ابن غانية كذلك إلى الصحراء حيث قتل في حروبه مع أهل نفزاوة في العام التالي (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)(١).

كانت الهزيمة أمام الموحدين هذه المرة ضربة قاصمة لتحالف قراقوش مع بني غانية، حيث دخل الخليفة الموحدي بعدها مدينة قابس ففتحها وكانت بيد أتباع شرف الدين قراقوش، وقام أهلها بالقبض على أتباع قراقوش وأهله وتسليمهم للخليفة الموحدي، وأخذ الخليفة كذلك أمتعة قراقوش وذخائره وبعث بالجميع إلى مراكش، ثم رحل إلى مدينة قفصة فحاصرها ثلاثة أشهر حتى استسلم من بها من "الأتراك" أتباع قراقوش فأعطاهم الخليفة الموحدي الأمان ودخل المدينة مسيطرا عليها وأمر بهدم أسوارها ثم عاد إلى مقره بمراكش في مطلع عام ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م(٢).

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج١٠ص١٣٧-١٣٨؛ التجاني: الرحلة ص١٠٣؛ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص١٦؛ ابن عذارى: تاريخ الموحدين ص١٦٢-١٦٤؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص٢٥٦؛ الحميري: الروض المعطار ص٢٠٠-٢٠١، ص٤١٤-٤١٥؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣٨؛ السيد سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٧١٨-٧١٩؛ علي قنبر إلياس: أسرة بني غانية ص١٠١؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق ص١٥٣؛ وانظر أيضا:

Jacques Thiry: Le Sahara Libyen Medieval, p.p: 79-80.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج١٠ص١٣٧-١٣٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٧ص٤؛ التجاني: الرحلة ص١٠٣، ص١٣٦، ص١٣٩؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٣٠؛ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص١٦؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص٢٤٤؛ أحمد الطرابلسي: المنهل العذب ص١٣٨-١٣٩؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج٤ص٢١٣؛ خليل السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣٠٥، وانظر الملحق رقم (٣) بهذا البحث.

وفي إحدى رسالاته إلى مراكش عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م يصف الخليفة الموحدي قراقوش وأهله وأتباعه "بالأشقياء"، وأنه إنما استهدفهم ليقطع تحالفهم مع "الأشقياء" أمثالهم من بني غانية والأعراب والبربر ليقضي بذلك على الوجود الأيوبي بأرض المغرب الذي كان ممثلا في شخص شرف الدين قراقوش ورجال حملته[١].

وتكشف هذه الرسالة عن مدى تخوف الخليفة الموحدي من حملة شرف الدين قراقوش كونها تحقق إنجازا باسم الأيوبيين مستغلة في ذلك أعداء الموحدين ببلاد المغرب من بني غانية والأعراب وحلفائهم من البربر، فبنو غانية والأعراب والبربر مهما بلغت قوتهم فهم يشكلون عدوا داخليا، أم قراقوش فحملته تعبر عن الوجود الأيوبي بالبلاد المغربية، وما تحققه الحملة من انتصارات على حساب الموحدين وسلطانهم يشكل تهديدا خارجيا خطير لدولتهم لا يمكن السكوت عليه أو التواني في مواجهته، وهذا ما جعل الخليفة الموحدي يعجل بالقضاء على تحالف قراقوش مع بني غانية والقبض على أهل قراقوش وإرسالهم أسرى إلى مقره بمدينة مراكش منتظرا رد فعل القائد شرف الدين نفسه.

وتفيد هذه الأحداث أن الأعراب من بني هلال وبني سليم بالإضافة إلى العناصر البربرية الذين شاركوا في هذه الأحداث لم يكونوا أكثر من "مجرد أدوات" استخدمها كل من بني غانية وقراقوش لتحقيق مصالحهم الشخصية[٢].

---

(١) ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٥٣-١٥٤، وانظر الملحق رقم (٣).

(٢) راجع:

Jacques Thiry: Le Sahara Libyen medieval, p: 80, Michael Brett: The Way of the Nomad, p: 265.

أما شرف الدين قراقوش فلا تشير المصادر المتاحة إلى المكان الذي هرب إليه بعد هزيمته أمام الموحدين في شعبان عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، فابن أيبك الدوادراي[١] يذكر أنه قد هرب إلى "أشبيلية"، غير أن هذه الرواية غير دقيقة كون أشبيلية كانت تابعة آنذاك لسلطان الموحدين أنفسهم فكيف يهرب إليها قراقوش، كما أنه لم يكن ليفارق أرض المغرب وأهله قد وقعوا في أسر الموحدين، ومن المرجح أنه فعل مثل ما فعل ابن غانية حيث هرب إلى الصحراء كما أكد ذلك كل من التجاني[٢] والمقريزي[٣].

وعلى أية حال فإن شرف الدين قراقوش قد ظهر مرة أخرى في عام ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م متحالفا مع يحي بن إسحاق بن غانية الذي قاد ثورة بنى غانية بعد موت أخيه علي كما سبقت الإشارة، وكان يحي قد قد اتبع سياسة أخيه السابق عندما بحث عن حلفاء له يكونوا خصوما للموحدين، وقد ترتب على تحالفه مع شرف الدين قراقوش هذه المرة زعزعة استقرار منطقة المغرب الأوسط مرة أخرى، حيث خرجت منطقة الجريد عن سلطان الموحدين للمرة الثانية، كما فقدوا السيطرة على مدينة طرابلس بالمغرب الأدنى[٤].

غير أن هذا التحالف بين قراقوش ويحي بن غانية لم يطل أمده، ذلك أن قراقوش ما لبث أن جنح إلى طاعة الموحدين ورضي بالدخول تحت سلطانهم، فسار إلى تونس

(١) كنز الدرر وجامع الغرر ج٧ص٨٣.

(٢) الرحلة ص١٠٣، ص١٣٧.

(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ج١ص٢١٢.

(٤) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص٨٠٥؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٥٤.

واجتمع بواليها السيد أبي زيد الذي تلقاه بمنتهى الترحاب والتكريم، وأقام قراقوش في تونس فترة في كنفه ورعايته وذلك في سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م[(١)].

ولعل دخول شرف الدين قراقوش المفاجئ في طاعة الموحدين كان خطة تم الاتفاق عليها بينه وبين السلطان صلاح الدين الأيوبي[(٢)] حتى يسهل بذلك عمل سفارة صلاح الدين بزعامة أسامة بن منقذ المرسلة إلى الخليفة يعقوب المنصور الموحدي في نفس العام الذي دخل فيه قراقوش في طاعتهم (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)، وكانت هذه السفارة بغرض طلب مساندة الموحدين لصلاح الدين في مواجهة الصليبيين المحاصرين لمدينة عكا ببلاد الشام[(٣)].

ويضاف إلى ما سبق أن قراقوش قد رأى أن مصالحة الموحدين والدخول في طاعتهم هو الأفضل في هذا التوقيت حتى يتم الإفراج عن أسرته وأهله الذين أسرهم الخليفة الموحدي من مدينة قابس خلال حملته عليها كما سبق القول، ولذلك ما أن تم لقراقوش ما أراد، وما أن فشلت سفارة أسامة بن منقذ في تحقيق أهدافها نرى قراقوش بعد فترة قصيرة من الدخول في طاعة الموحدين يفر من تونس ليستأنف حروبه ضدهم من جديد.

---

(١) راجع التجاني: الرحلة ص١٠٤؛ ابن عذارى: تاريخ الموحدين ص١٦٨-١٦٩؛ ابن خلدون: العبر ج٦ ص١٩٣؛ خليل السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣٠٦.

(٢) علي قنبر إلياس: أسرة بني غانية ودورهم في التصدي للموحدين ص١٠٣.

(٣) راجع المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج١ ص٤٤٤-٤٤٥؛ سعد زغلول عبد الحميد: العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي والمنصور الموحدي ص ٨٤-١٠٠.

ولا تفيد المصادر المتاحة عما إذا كان قراقوش قد حاول الاتصال ببني غانية ليتحالف معهم مرة أخرى أم لا؟، وفيما يبدو أنه قد قرر العمل وحده فنراه يتجه بجنوده فقط تجاه مدينة قابس ليدخلها بالحيلة ويقتل جماعة من أهلها معلنا خروجه عن طاعة الخليفة الموحدي من جديد(١).

ومن قابس عاد شرف الدين قراقوش إلى مدينة طرابلس واستولى عليها من يد حاكمها الموحدي، ثم توجه إلى بلاد الجريد مقر حليفه السابق يحي بن غانية، ولكن محاولات الاتفاق بينهما هذه المرة لم تفلح لأسباب لم تكشف عنها المصادر، ويبدو أن خلافا قد وقع بين الطرفين أوصلهما إلى القتال فالتقيا بموضع يعرف بـ"محسن" قرب طرابلس فهزم قراقوش وفر إلى الجبال، واستولى ابن غانية على مدينة طرابلس من يد "ياقوت" نائب قراقوش بها، وقبض يحي بن غانية على ياقوت وأرسله إلى ميورقة حيث ظل سجينا بها إلى أن خلصه الموحدون عندما دخلوها في عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م، وعين ابنُ غانية ابنَ عمّه تاشفين بن غازي واليا على طرابلس ورحل عنها، ولم تمض فترة قصيرة حتى ثار أهل المدينة على تاشفين وأخرجوه منها معلنين الدخول في طاعة الموحدين مرة أخرى(٢).

نهاية حملة شرف الدين قراقوش على بلاد المغرب وأهم نتائجها:

من اللافت للنظر أن أخبار حملة شرف الدين قراقوش على بلاد المغرب قد توقفت وبشكل مفاجيء في المصادر المتاحة دون الإفادة عما إذا كان قائد الحملة قد قام بأعمال أخرى أم لا؟، وثمة مجموعة أخرى من التساؤلات المهمة المتعلقة بهذه الحملة

---

(١) التجاني: الرحلة ص١٠٤؛ ابن خلدون: العبر ج٦ ص١٩٣؛ علي إلياس: أسرة بني غانية ص١٠٣.

(٢) التجاني: الرحلة ص١٠٤-١٠٥، ٢٤٤-٢٤٥؛ علي إلياس: أسرة بني غانية ص١٠٣.

لا يجد الباحث لها إجابة شافية في المصادر المتاحة، ولعل من أهم هذه التساؤلات: لماذا توقفت أخبار الحملة فجأة؟ وهل عاد قائد الحملة إلى مصر أم لا؟، و وما هو مصيره؟!.

وعلى الرغم من أن صاحب كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق قد أفاض علينا بمعلومات وفيرة عن الحملة وتحركات قائدها وأعماله في البلاد المغربية، فإن هذه المعلومات قد توقفت تماما عند أحداث سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م رغم إفادة المؤلف أنه سوف يذكر لنا أحداثا أخرى عن شرف الدين قراقوش خلال حديثه عن حوادث هذه السنة (وهي الأخيرة في كتابه) ولكنه لم يفعل[١].

وبالرغم من أن أبا شامة في إحدى رواياته يفيد أن قراقوش قد عاد إلى مصر منذ عام ٥٧١هـ/ ١١٧٥م[٢]، ورغم أن إحدى الروايات الحديثة تجعل تاريخ عودته إلى مصر ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م[٣]؛ فإن هذه الروايات تبدو بعيدة عن الصواب أمام تأكيد معظم المصادر الأخرى وجود شرف الدين قراقوش ببلاد المغرب حتى عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م كما سبقت الإشارة، ومن ثم يمكن لنا أن نسجل بعض الملاحظات المهمة التي تؤكد لنا بقاء شرف الدين قراقوش في بلاد المغرب حتى هذا التاريخ من جانب، وتساعد في التعرف على مصير حملته وكيف انتهت مهمتها من جانب آخر، ويلاحظ أن كل هذه الأحداث وقعت في نفس العام (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م):

---

(١) راجع مضمار الحقائق وسر الخلائق ص٢٥٦.

(٢) أبو شامة: الروضتين ج١ق٢ص٦٦٦، وهم لم يذكر في هذه الرواية أن قراقوش قد عاد إلى بلاد المغرب مرة أخرى.

(٣) ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٢.

١- مصالحة شرف الدين قراقوش للموحدين والدخول في طاعتهم.

٢- سفارة صلاح الدين إلى الموحدين يطلب فيها دعمهم لمحاربة الصليبيين.

٣- مخالفة شرف الدين قراقوش لبني غانية (لأول مرة) وهو الذي كان حليفا لهم على الدوام.

٤- فشل سفارة صلاح الدين في تحقيق أهدافها ورفض الموحدين مساعدته.

٥- خروج قراقوش عن طاعة الموحدين والعودة لمحاربتهم والتمرد على سلطانهم.

٦- عفو الموحدين عن شرف الدين قراقوش (١).

ومن خلال القراءة المتأنية لهذه الأحداث المتعاقبة يمكن التأكيد على أن دخول قراقوش في طاعة الموحدين كان بالفعل أمرا قد تم الافاق عليه بينه وبين السلطان صلاح الدين الأيوبي حتى يسهم ذلك في تحقيق أهداف سفارة أسامة بن منقذ إليهم كما سبق القول، ولذلك ما أن فشل أسامة بن منقذ في تحقيق أهداف سفارته نرى قراقوش قد خرج على طاعة الموحدين مباشرة.

وفي الحقيقة لا يجد الباحث في المصادر المتاحة جوابا شافيا حول الأسباب الحقيقة وراء هذا التحول السريع لموقف شرف الدين قراقوش من الموحدين خلال عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م وانقلابه على بني غانية حلفائه القدامى سوى أن يكون ذلك أمرا قد صدر إليه من قيادات الدولة الأيوبية بمصر والشام.

---

(١) على قنبر إلياس: أسرة بني غانية ودورها في التصدي للموحدين ص١٠٩.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أسرة بني غانية قد استمرت في حربها ضد الموحدين، ورغم أنهم قد وجدوا دعما قويا لهم خلال الفترة المقبلة من القبائل العربية من بني هلال وبني سليم؛ فإن اختفاء قراقوش عن مسرح الأحداث وعدم وجوده في هذا التحالف يؤكد لنا أن أحداث حملته وتحركاته في سبيل السيطرة ونشر سلطان الدولة الأيوبية بالمغرب قد توقفت وأنه لم يعد حليفا لبني غانية[1].

ولكن أين ذهب شرف الدين قراقوش وما هو مصيره؟!.

إن نصوص المصادر لا تكشف عن حقيقة موقف السلطان صلاح الدين الأيوبي من حملة شرف الدين قراقوش بعد فشل سفارته إلى الموحدين في عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م، ومن الواضح أن بقاء الحملة في الأراضي المغربية خلال الفترة المقبلة لم يعد مفيدا للدولة الأيوبية في هذا التوقيت، فقد كان الأيوبيون في حاجة إلى كل دعم للتصدي لجحافل الصليبيين المرابطة بالساحل الشامي، كما أن بقاء السيطرة على كثير من البلاد بمنطقة المغرب الأدنى بأيدي أتباع قراقوش وتبعيتها للدولة الأيوبية[2] قد جعل السلطان صلاح الدين مطمئنا على حدود بلاده من ناحية الغرب إذا ما فكر الموحدون بغزوها.

---

(١) راجع النويري: نهاية الأرب ج٢٤ص٣٣٦-٣٣٧، ص٣٤٠-٣٤٢؛ أحمد الأنصاري الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣٩.

(٢) أبو شامة: الروضتين ج٢ص١٩٩؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٦٣-١٦٤.

من ناحية أخرى فقد توفي الملك المظفر تقي الدين عمر في رمضان عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م(١)، وهو الذي كان دائم الاتصال بمملوكه شرف الدين قراقوش بالبلاد المغربية، يمده بما يحتاج إليه من مساعدات وجند كما مر بنا سابقا، كما أنه كان حلقة الوصل بين قراقوش وبين الناصر صلاح الدين الأيوبي، وربما أن وفاته في هذا التوقيت قد تركت أثرا في نفس شرف الدين، فقد كانت الصلة بينهما وثيقة لدرجة جعلت المصادر تتحدث عنه بأنه أحد أصحاب تقي الدين(٢)، وغلام تقي الدين(٣)، ومن موالي تقي الدين(٤)، فضلا عن أنه كان ينسب إليه كما سبق القول فعرف بالمظفري والتقوي نسبة إليه، ولعل هذه الحادثة كانت من أسباب عدم رغبة شرف الدين قراقوش في العودة إلى مصر بعد وفاة سيده، كما أنها قد جعلته يقضي بقية حياته ساكنا بناحية ودّان بأرض المغرب(٥) لا يرغب في مواصلة الفتح أو القتال حتى كانت نهايته مقتولا في شهور عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م -كما سيرد بعد قليل- دليلا على توقف أحداث حملته عند هذا التاريخ.

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٣ص١٢٩؛ أبو الفداء: المختصر ج٣ص٨٠-٨١؛ ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ص٣٧٦؛ أبو شامة: الروضتين ج٤ص١٧٠؛ المقريزي: السلوك ج١ص٢٢٠.

(٢) المقريزي: السلوك ج١ق١ص٦٠.

(٣) أبو شامة: الروضتين ج٢ص١٧٥، المقريزي: السلوك ج١ق١ ص٦٣، ص٩٠.

(٤) أحمد الأنصاري الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣١.

(٥) وَدَّان: اسم لثلاثة مواضع أحدها هذه المدينة الواقعة بأرض أفريقية ناحية الجنوب، افتتحها عقبة بن عامر سنة ٤٦هـ في أيام معاوية، ولها قلعة حصينة ودروب، ويعيش أهلها على الزراعة وبخاصة زراعة التمر، وفيها جماعة من أهل الأدب والعلم والفقه. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٥ص٣٦٥-٣٦٦.

مقتل شرف الدين قراقوش:

تكاد تكون رواية الرحالة أبي محمد عبد الله التجاني[(١)] هي الوحيدة التي تعطينا معلومات مفصلة تكشف عن نهاية شرف الدين قراقوش المظفري، وهو يشير فيها إلى أن شرف الدين بعد خلافه مع بني غانية ونقضه التحالف معهم والدخول في طاعة الموحدين؛ هرب أمامهم عندما دخلوا طرابلس عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م ولجأ إلى بلاد ودّان واستقر بها، ولما استولى الخليفة الناصر الموحدي على مدينة قابس وغيرها من بلاد أفريقية من يدي يحي بن غانية في سنة ٦٠١هـ/ ١١٩٥م[(٢)]، جمع الأخير جنوده وقرر القضاء تماما على شرف الدين قراقوش بصفته عاملا رئيسا في ضياع ملك بني غانية من بلاد أفريقية بتحالفه مع الموحدين، كما أنه أراد أن يأمن جانبه حتى لا يؤخذ على غرة من ناحية الجنوب[(٣)].

واستغل يحي بن غانية خلاف العرب من قبيلة دبّاب مع شرف الدين قراقوش الذي كان قد قتل زعيمهم حميد بن جارية في وقت سابق[(٤)]، وجمعهم حوله وخرج لقتل شرف الدين بودّان، وهناك تمت محاصرة شرف الدين حتى فني طعامه وشرابه، فقرر الاستسلام وخرج يطلب منهم أن يقتلوه قبل أن يقدموا على قتل ولده الذي كان

---

(١) التجاني: الرحلة ص١١٠-١١١.

(٢) المراكشي: المعجب ص٢٦٢.

(٣) وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس ص١٨٢.

(٤) التجاني: الرحلة ص١٠٤.

يرافقه، وخرج الاثنان فقال ابن شرف الدين له: "يا أبت إلى أين يروحوا بنا؟، فقال له أبوه شرف الدين: إلى حيث رحنا بآبائهم"، فقتلوه وقتلوا ابنه بعده، وصلبه ابن غانية بظاهر ودان، وذلك في شهور عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م[١].

ويؤكد أحمد الطرابلسي أن نهاية شرف الدين قراقوش كانت بالفعل على يدي يحي بن غانية، غير أنه يجعل ذلك في عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م[٢]، ومن المرجح أن رواية التجاني هي الأقرب إلى الصواب كون التجاني كان قريبا من الحدث من الناحيتين الزمانية والمكانية، كما أنه أكّد تلقيه هذه المعلومات عن "أفواه العرب الدبّابين" الذين كانوا طرفا مشاركا في قتل قراقوش، وهم يذكرون للتجاني أنهم قد أخذوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم الذين حضروا واقعة مقتل شرف الدين قراقوش[٣].

وعلى أية حال فإن الروايتين تشتركان في التأكيد على أن مقتل شرف الدين كان على يدي يحي بن غانية، وسواء أكان ذلك في عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م كما قال أحمد الطرابلسي، أو في عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م كما قال بذلك الرحالة التجاني؛ فإن أحداث الحملة وتحركات شرف الدين قراقوش للسيطرة ونشر سلطان الأيوبيين بالمغرب قد

---

(١) التجاني: الرحلة ص١١٠، ابن خلدون: العبر ج٦ص٢٢٩ وهو يذكر أن ابن غانية قد اقتحم ودان ودخلها عنوة، راجع أيضا الحميري: الروض المعطار ص٤٤٠؛ كذلك:

B .G .Martin: Island of the Blest: Islam in a Libyan Oasis Community by J. P. Mason, p.577.

(٢) أحمد الأنصاري الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ص١٣٩.

(٣) التجاني: الرحلة ص١١١.

توقفت عند تاريخ عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م، وأنه قد قضى الفترة المتبقية من حياته ساكنا ببلاد ودان كما سبقت الإشارة.

ويذكر التجاني أن شرف الدين قراقوش كان قد ترك ولدا آخر "حسن الصورة شجاعا كريما"، وأن الخليفة المستنصر بالله الحفصي (ت/ ٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م) كان قد استعان به وقدمه على طائفة من الجند، وقد حدثته نفسه أن يفعل مثلما فعل أبوه ببلاد المغرب فهرب بطائفة من الجند ولحق ببلاد ودان حيث قتل أبوه وأشعل تلك البلاد نارا وفتنة، غير أنه لم ينجح في تكوين ملك خاص حيث أرسل ملك مدينة "كانم" عاصمة تشاد مبعوثين من الجنوب لقتله في شهور عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وقطعت رأسه وأرسلت إلى الملك في كانم وتم عرضها على الناس حتى يكون عبرة لغيره[١]، وكان ملك كانم مدفوعا في ذلك بالرغبة في الحفاظ على اقتصاد بلاده واستقرارها وحمايتها من إغارات قراقوش وأبنائه عليها ونهبها، وهو ما يشير إلى أن قراقوش كان قد نقل تحركاته ناحية الجنوب خلال الفترة الأخيرة من حياته، كما أن ملك كانم أراد أن يحكم السيطرة على طريق التجارة الذي يربط بلاده مع بلدان حوض البحر المتوسط شمالا حيث تتمكن بلاده التشادية من نقل صادراتها الحيوية إلى العالم الخارجي عبر فزان وودان ولذلك كان حريصا على السيطرة على هذه البلاد خلال الفترة المقبلة[٢].

---

(١) التجاني: الرحلة ص١١١.

(٢) راجع:

B. G. Martin: Kanem, Bornu, and the Fazzan: Notes on the Political History of a Trade Route, The Journal of African History, Vol. 10, No. 1 (1969) p: 19, Jacques Thiry: Le Sahara Libyen medieval, p: 80.

نتائج حملة شرف الدين قراقوش على بلاد المغرب :

أسفرت حملة شرف الدين قراقوش على بلاد المغرب عن مجموعة من النتائج المهمة يمكن الإشارة إليها في النقاط التالية :-

١- تركت الحملة "جروحا غائرة" في العلاقات المصرية المغربية، كما أن دولة الموحدين ظلت تنظر إلى تلك الحملة وكل من ساهم فيها بشكل مباشر أو غير مباشر على أنهم خارجون عن تعاليم الخلافة الموحدية(١).

٢- ساهمت الحملة في إنهاك دولة الموحدين بمنطقة المغربين الأدنى الأوسط وزعزعة استقرار حكمهم في هذه البلاد، حيث استغرقت محاربتها من خلفاء الموحدين وقتا طويلا وجهدا كبيرا، وبلا شك كان تحالف شرف الدين قراقوش مع بني غانية أحد العوامل المهمة التي ساهمت في إضعاف الدولة والمساعدة على إسقاطها(٢).

٣- أثرت العمليات العسكرية التي شهدتها منطقة المغرب العربي بين الموحدين وأعدائهم من بني غانية وقراقوش والقبائل العربية في تعطيل مصالح الناس وكساد الأحوال الاقتصادية وتعطيل طرق التجارة في كثير من هذه البلاد(٣)، بالإضافة إلى المآسي التي شهدتها المنطقة من جراء عنف الحرب التي أثرت

---

(١) ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٢-١٣.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٧٤٢؛ خليل السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣١٨؛ علي الصلابي: دولة الموحدين ص١٦٨.

(٣) راجع:

Jacques Thiry: Le Sahara Libyen medieval, p: 80,
B. G. Martin : Ahmad Rasim Pasha and the Suppression of the Fazzan slave trade, p : 555-556.

على نفسية السكان الذين عاشوا الأمرين من هذه الأوضاع، وتعطينا الحالة التي عاشتها مدينة بجاية خلال هذه الحرب صورة صادقة لما عانته بلاد المغربين الأدنى والأوسط من ضيق وخراب ودمار[1]، ويصف لنا ابن الأثير ملك قراقوش وحكمه الذي قام بمساعدة العرب الذين "جبلوا على التخريب والنهب والإفساد بقطع الأشجار والثمار"[2].

٤- كشفت الحملة عن حقيقة الصراع المذهبي القائم بين الخلافة الموحدية وبين الأيوبيين المناصرين للخلافة العباسية السنية، وكان هذا الصراع سببا من أسباب توسعات صلاح الدين في بلاد المغرب كما سبق القول، كما أنه كان السبب الحقيقي وراء دعم الخلافة العباسية لتحركات قائد الأيوبيين شرف الدين قراقوش في بلاد المغرب.

٥- وقفت حملة شرف الدين قراقوش حائلا دون تحقيق الاتفاق والتعاون بين الدولتين: الأيوبية بمصر والشام، والموحدية بالمغرب والأندلس لمحاربة الوجود الصليبي في البلاد الإسلامية، فلقد كان من أمر أحداث هذه الحملة وما خلفته في نفوس الموحدين نحو صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية في مصر، ومن خلال أحداث هذه الحملة وتحركات قائدها وقف الخليفة الموحدي على قوة الدولة المشرقية الجديدة الناشئة وسرعة اتساعها باسم

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١٠ ص١٢٨-١٢٩، ص١٣٦-١٣٧؛ خليل السامرائي وآخران: تاريخ المغرب العربي ص٣١٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج١٠ ص٤٧.

الخلافة العباسية المنافسة[1]، ورغم اتفاق معظم المصادر على تعليق رفض الخليفة الموحدي مساندة السلطان صلاح الدين في حربه ضد الصليبيين على أن صلاح الدين لم يخاطبه بلقب "أمير المؤمنين" بل خاطبه بلقب "أمير المسلمين"[2]، فإنه في إطار تفسيرات المؤرخين لأسباب رفض المنصور مطلب صلاح الدين ينبغي أن نضع في الاعتبار ما دار من معارك في أفريقية والمغرب بين قائد الأيوبيين شرف الدين قراقوش وبين الموحدين، فلقد كانت الحملة "من النقط السوداء التي عرقلت جهود أسامة بن منقذ رسول صلاح الدين في تحقيق أهدافه"[3].

ويؤكد الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن تحالف قراقوش مع بني غانية أعداء الموحدين كان من أسباب رفض الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور مساندة صلاح الدين في جهاده ضد الصليبيين ببلاد الشام[4].

لقد سبقت الإشارة إلى أن رفض الموحدين مساندة صلاح الدين يعكس بشكل واضح صورة المنافسة السياسية بين الدولتين، ومن ثم فإن العلاقات بينهما لم تكن

---

(١) ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٥٦.

(٢) راجع في ذلك: أبا شامة: الروضتين ج٢ص١٧٠-١٧٤؛ عيون الروضتين ج٢ص٢٣٣-٢٤٠؛ السلاوي: الاستقصا ج٢ص١٦٣؛ المقري: نفح الطيب ج١ص٤٤٤-٤٤٥؛ ابن خلدون: العبر ج٦ص١٤٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى ج٦ص٥٣٠؛ سعد زغلول: العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي والمنصور الموحدي ص ٨٤-١٠٠؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج٤ص٢١٦.

(٣) ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٥٥، ص١٦٣-١٦٤.

(٤) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٧١٧.

لتصفو لصالح العالم الإسلامي إلا بعد أن تبلغ الدولتان الحد الأقصى من جهودهما الحربية في الجهاد ضد الحركة الصليبية[1]، ورغم أن صلاح الدين قد أبدى الاعتذار بنفسه على لسان رسوله أسامة بن منقذ عما فعله مملوكهم شرف الدين قراقوش بأرض الموحدين[2]، ورغم أن الموحدين كانوا قد أعلنوا العفو عن قراقوش في النهاية كما سبقت الإشارة[3]؛ فإن عدم دعمهم لسلطان الدولة الأيوبية آنذاك لا يلصق بهم التهمة على أنهم تقاعسوا أو تخاذلوا في القيام بهذا الدور التاريخي الذي كلفوا به، فلقد كان للموحدين دورهم في الجهاد ضد أعداء الإسلام في الغرب ممثلا في حربهم ضد نصارى الأسبان، كما أنهم أدوا دورا في الجهاد ضد الحركة الصليبية بالمشرق الإسلامي ولكن بأسلوبهم الحربي الخاص الذي يوافق سيطرتهم على الملاحة في غربي البحر المتوسط ويتناسب مع ظروف دولتهم، ويشير المراكشي[4] إلى أن المنصور الموحدي كان قد أرسل أسطوله في البحر بالفعل ليمنع تدفق الصليبيين إلى بلاد الشام، ولم يذكر أنه اشتبك معهم لغرض حربي، ولعل انشغال المنصور بمحاربة بني غانية الذين أعانهم صلاح الدين بطريق غير مباشر عن طريق حملة قراقوش كان من أسباب عدم وقوفه بشكل كاف إلى جانب سلطان مصر والشام[5].

---

(١) ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٥٦.

(٢) سعد زغلول: العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي والمنصور الموحدي ص٩٦؛ ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٦٠.

(٣) علي قنبر إلياس: أسرة بني غانية ص١٠٩.

(٤) المعجب ص٢٦٣.

(٥) ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص١٦٤ حاشية (٧٣).

الخاتمة

تناول البحث بالدراسة والتحليل حملة الأيوبيين على بلاد المغرب التي قادها مملوكهم التركي شرف الدين قراقوش التقوي المظفري المنسوب إلى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقد بين البحث أهمية هذه الحملة وأسباب خروجها من مصر وأعمالها في بلاد المغرب وموقف الموحدين منها ومن التحالف السياسي الذي تم بين قراقوش وبين بني غانية أصحاب جزر البليار الذين كانوا يرغبون في الإطاحة بحكم الموحدين وإعادة ملك الدولة المرابطية.

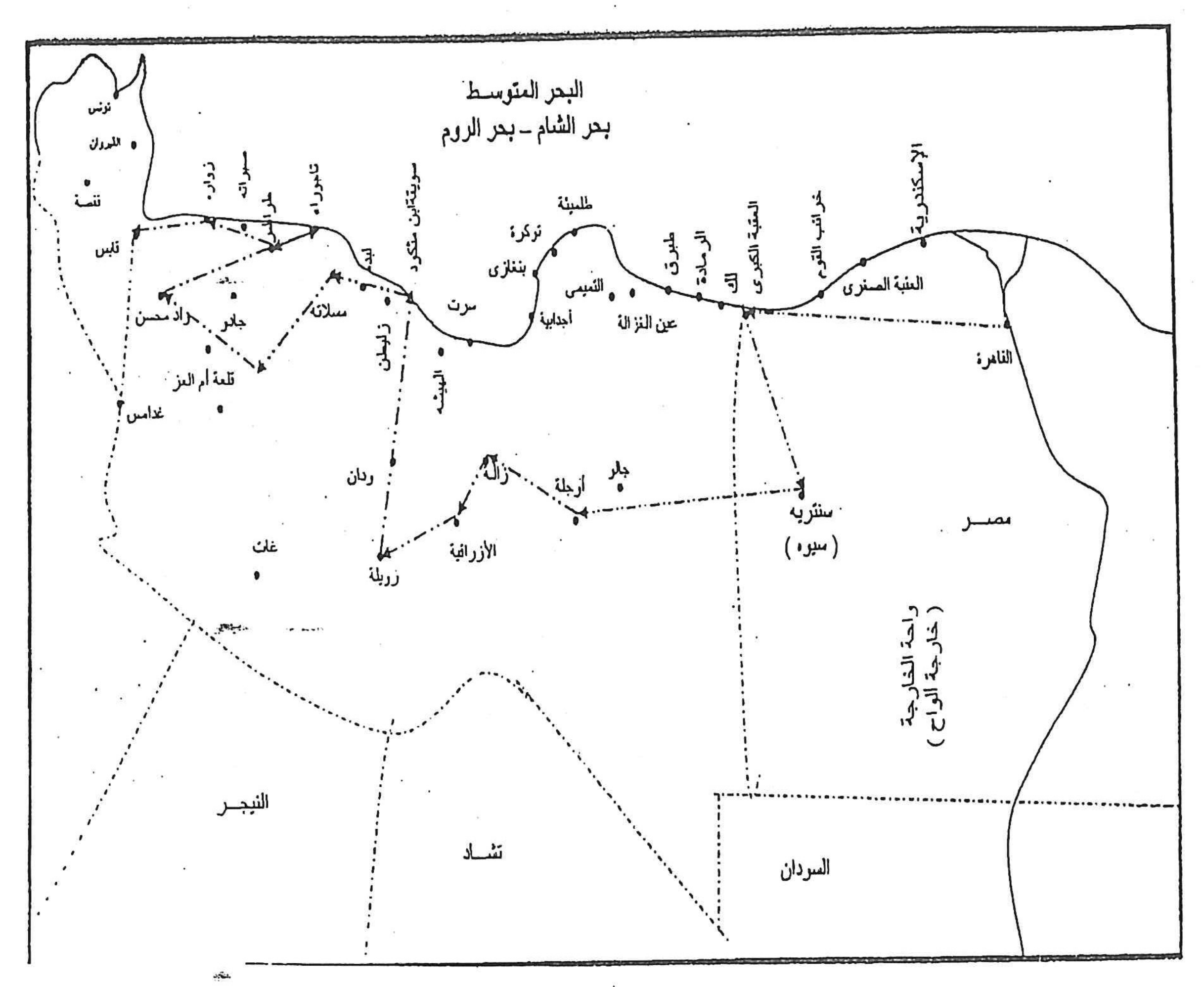
واتضح من خلال البحث أن هذه الحملة قد حققت جملة كبيرة من الأهداف التي خرجت من أجلها يأتي على رأسها حماية حدود مصر الغربية من تطلعات الموحدين ونشر سلطان الأيوبيين خارج مصر وإعلاء شان الخلافة العباسية السنية في بلاد المغرب على حساب الخلافة الموحدية التي لم تكن تعترف بالخلافة العباسية ولا سلطانها في تلك البلاد.

وفي الوقت ذاته تسببت حملة شرف الدين قراقوش على بلاد المغرب في ازدياد العلاقة سوءا بين كل من الأيوبيين والموحدين كما أنها وقفت حائلا دون تحقيق التعاون بين الدولتين لمواجهة الصليبيين في المشرق الإسلامي إذ كانت لكل دولة منهما حساباتها السياسية والعسكرية الخاصة بها.

ثم كانت النهاية "الدرامية" لقائد الحملة شرف الدين قراقوش المظفري مقتولا على أيدي بني غانية حلفائه القدامى في شهور عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م بعد تسببت

حملته في اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية في بلاد المغرب وساهمت في إضعاف الدولة الموحدية وزوال ملك الموحدين فيما بعد بما استهلكته من وقت وجهد ومال في محاربه قراقوش وبخاصة خلال فترة تحالفه عليهم مع بني غانية.

ملحق ١



خط سير حملة شرف الدين قراقوش

(القاهرة – عقبة السلوم – سيوه – أوجلة – الأرزاقية – زويلة – ودان – جبل نفوسة – قلعة أم العز – طرابلس – قابس – قفصة – القيروان .....)

انظر: وليد الطنطاوي: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس ص٦٣٥.

ملحق٢

جدول السلاطين الأيوبيين بمصر في فترة البحث

م	السلطان	سنوات حكمه	
١	الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب	٥٦٧-٥٨٩هـ	١١٧١-١١٩٣م
٢	الملك العزيز الأول عماد الدين أبو الفتح عثمان	٥٨٩-٥٩٥هـ	١١٩٣-١١٩٨م
٣	الملك العادل الأول سيف الدين أبو بكر أحمد	٥٩٥-٦١٥هـ	١١٩٨-١٢١٨م

جدول الخلفاء الموحدين في فترة البحث

م	الخليفة	سنوات حكمه	
١	عبد المؤمن بن علي	٥٢٤-٥٥٨هـ	١١٢٩-١١٦٢م
٢	يوسف بن عبد المؤمن	٥٥٨-٥٨٠هـ	١١٦٢-١١٨٤م
٣	يعقوب بن يوسف المنصور	٥٨٠-٥٩٥هـ	١١٨٤-١١٩٨م
٤	الناصر بن يعقوب	٥٩٥-٦١٠هـ	١١٩٨-١٢١٣م

ملحق٣

جزء من نص رسالة أبي يعقوب المنصور الموحدي إلى مراكش في ١٨ شعبان ٥٨٣هـ

للإخبار عن فتح مراكش وقفصة وقابس[١]

" ... فقد علمتم ما كان من الأشقياء الغربيين وإخوانهم في الضلالة الميورقيين من التسحب على أرجاء هذه الجهات الأفريقية وأكنافها وشنهم الغارات بأوساطها وأطرافها، وإجماعهم على اكتساح زروعها في هذا العام وانتسافها، وما سولته لهم أمانيهم الكواذب من قطعها بالحرابة وإضعافها، فحال بينهم وبين ما أملوه من ذلك المنع الإلهي والصد .... وكان من صنع الله العجيب أن انتهينا إليها عند بلوغ زرعها إلى حال الكمال والطيب فحماه الله من اختطافهم وصانه على أربابه من اعتدائهم وإتلافهم وصيره رزقا واسعا لأحزابه المؤيدين...، وكان هؤلاء الأشقياء المتمردين والكفرة المتخلصون من ثوب الإسلام المتجردون، والجبناء المجردون بالخلاء وهم منفردون، والأوباش المتظافرون على الحرابة المتعاقدون ، وقد استنزلهم الشيطان وأغواهم، واستجرهم الطمع المهلك واستهواهم وصور لهم ألا قامع يقمعهم فأضلهم وأرداهم.

ولما أذن الله تعالى بهلاكهم وقضى بقهرهم على أيدي أوليائه المظفرين...، وأراحت هذه الجهات مما دهاها من زورهم وإفكهم، عزم الموحدون – أعزهم الله – على النهوض إليهم إلى محال قرارهم، وغزوهم في عقر دارهم ... فنهضوا من

---

(١) راجع ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ص٤١٣-٤١٥.

تونس... وعندما أحس الأشقياء بحركة أهل التوحيد .. تحركوا من مواضعهم... ولما وصل الموحدون .. إلى القيروان .... رأوا أن يقدموا الإنذار إليهم ويقيموا الحجة عليهم، ويسلكوا على سنن الشرع في تقري الدعوة إلى الله تعالى، و... فكفروا نعمة الرفق بهم وغمطوها، ازدروا المن بذلك وسخطوها ... واعتقلوا الرسول جريا على عادة كفرهم، وكانوا عند احتلال الموحدين ... بالقيروان بجهات وادي ران، ثم قصدوا قفصة ... مخيلين باللقاء عندها، ومشيعين أنهم يقارعون الموحدين أن قصدوا قصدها، فاقتفى الموحدون آثارهم إلى مقربة منها، وأخذوا على طريق لم يخطر ببال الأشقياء السلوك عليها، .... فسقط في أيديهم واختلت أراؤهم واضمحلت دعاويهم، وتوفرت على الهرب إلى قابس والشيطان يخيل لهم الاستقلال بها لا قبل لهم به ولا طوق، حتى انتهى بهم السير إلى حمة مطماطة حيث حم حمامهم، ... واستصرخوا صعاليك سليم وذؤبانهم، وكل من وافقهم على ضلالاتهم من الأعراب وأعانهم من أهل الباطل وأعوانهم، فلاذوا بالفرار، .... فأتبعهم أولياء الله يقتلونهم في كل غور ونجد، ... وفي صبيحة الليلة التي أذل الله في يومها الأشقياء وأعز فيها الأولياء ومنحهم الظفر عليهم والاستيلاء، وهو يوم الخميس العاشر من شهر تاريخه، وصل إلى قابس فلحين الإطلال عليها، خرج أهلها راغبين في الأمن والأمان، معلنين بكلمة التوحيد والإيمان...

وكان بقابس بنو الشنقي قراقوش وأهله، وجملة ما قسمه انتهابه ... ومعهم جماعة من أوباشه الذين يعتمد عليهم، ولا يثق بأهله وولده وماله إلا إليهم، فتحصنوا بقصبة بها منيعة الجوانب ... وأجمعوا على الاستماتة فيها، فأحرقت بهم أجناد الله من جميع

جهاتها ونواحيها واستنزلوا منها على الأمن في رقابهم، واستقصاء كافة أموالهم وأسلابهم، واسترقاق نسائهم وأبنائهم وعيال من شهد الوقيعة من مقتولهم وهرابهم. وحصل أهل قراقوش وبنوه وماله غنما لأولياء الله تعالى ونفلا. وملكا لطائفة الحق.."

المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية

أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م)

١- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (النورية والصلاحية)، تحقيق د. محمد حلمي أحمد، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بالقاهرة ١٩٦٢م.

٢- كتاب عيون الروضتين في أخبار الدولتين (النورية والصلاحية)، تحقيق أحمد البيسومي، منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٢م.

أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن على (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)

٣- المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي بالقاهرة (بدون تاريخ نشر)

ابن الأبار: أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)

٤- الحلة السيراء، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، (ط١) الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٣م.

ابن الأثير: أبو الحسن على بن محمد الملقب بعز الدين (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)

٥- الكامل في التاريخ. تصحيح الدكتور محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت٥٤٩هـ/١١٥٤م)

٦- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة (١٩٩٤م)

البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)

٧- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، (ط١) بيروت، دار المعرفة ١٩٥٤م.

التجاني: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني (توفي حدود ٧١٧هـ/ ١٣١٧م)

٨- رحلة التجاني (قام بها في البلاد التونسية والمغربية بين عامي ٧٠٦هـ- ٧٠٨هـ)، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨١م

ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٣هـ/١٤٦٨م)

٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

الحموي: شهاب الدين أبو عبيدة ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)

١٠- معجم البلدان، دار صادر بيروت (دون تاريخ نشر)

الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م)

١١- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار القلم ١٩٧٥م.

الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

١٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر العربي، القاهرة بدون تاريخ نشر].

ابن الخطيب: لسان الدين بن محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)

١٣- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، (ط١) مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٧٣م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)

١٤- تاريخ ابن خلدون المعروف باسم (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، تقديم الدكتور عبادة كحيلة - نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة ٢٠٠٧م.

ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)

١٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت- ١٩٦٨م.

الدواداري: ابن أيبك أبو بكر بن عبد الله بن أيبك صاحب صرخد (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م)

١٦- كنز الدرر وجامع الغرر، (ج٧) تحقيق الدكتور سعيد عاشور، نشر المعهد الألماني للآثار بالقاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)

١٧- سير أعلام النبلاء ج٢١، تحقيق بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة ببيروت (ط١) ١٩٨٤م.

١٨- العبر في خبر من غبر، دار الكتب العلمية- بيروت (بدون تاريخ نشر).

الزركشي: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م)
١٩- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٥٦م.

السلاوي: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت١٣١٩هـ/ ١٩٠١م)
٢٠- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٥٤م.

ابن شاهنشاه: المنصور محمد بن تقي الدين عمر الأيوبي (ت٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)
٢١- مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق الدكتور حسن حبشي، نشر الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة ٢٠٠٥م.

ابن شداد: القاضي بهاء الدين (ت٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)
٢٢- سيرة صلاح الدين الأيوبي، دار المنار بالقاهرة (ط١) ٢٠٠٠م

الطرابلسي: أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي (ت١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م)
٢٣- المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا (دون تاريخ نشر).

ابن عذارى: أبو العباس أحمد بن محمد (كان حيا في عام ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)
٢٤- نص جديد من كتاب البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب (تاريخ الموحدين) نشره عبد القادر زمامة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد (٤-٥) ١٩٨٠م

القلقشندى: أبو العباس أحمد بن على (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

٢٥- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (الأجزاء ٥-٦) طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.

ابن كثير: أبو الفداء الحافظ الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

٢٦- البداية والنهاية، [الجزء ١٢] تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، نشر دار الحديث بالقاهرة، الطبعة السادسة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

المراكشي: عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)

٢٧- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق الدكتور محمد زينهم عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع بالقاهرة، ١٩٩٤م.

المقريزي: تقي الدين أحمد أبو العباس بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

٢٨- السلوك لمعرفة دول الملوك، (ج١) تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١) ١٩٩٧م.

المقري: أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣٢م)

٢٩- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، نشر دار صادر ببيروت ١٩٦٨م.

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)

٣٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، [ج٢٤] تحقيق الدكتور حسين نصار، مراجعة الدكتور عبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م.

ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)

٣١- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٧م.

ابن الوردي: زين الدين عمر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

٣٢- تاريخ ابن الوردي المعروف بـ(تتمة المختصر في أخبار البشر)، منشورات المطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

ثانيا: المراجع العربية

أحمد: محمد عبد العال (دكتور)

٣٣- الأيوبيون في اليمن (مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

أكرم: السيد عبد المؤمن

٣٤- أضواء على تاريخ توران، مطبعة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة (دون تاريخ)

حسن: حسن إبراهيم (دكتور)

٣٥- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل ببيروت، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، (ط ١٣) ١٩٩١م.

خلف الله: ابتسام مرعي: (دكتور)

٣٦- العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، نشر دار المعارف بالقاهرة، (ط١) ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

سالم: السيد عبد العزيز (دكتور)

٣٧- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ٢٠٠٢م

السامرائي: خليل إبراهيم، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب (دكتور)

٣٨- تاريخ المغرب العربي، دار الكتب للطباعة والنشر بالموصل، العراق ١٩٨٨م.

سرور: محمد جمال الدين (دكتور)

٣٩- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي بالقاهرة (ط٤) ١٩٧٦م.

الصلابي: علي محمد (دكتور)

٤٠- إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة، (ط ١) ٢٠٠٣م.

العبادي: أحمد مختار (دكتور)

٤١- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، نشر محمد أحمد بسيوني، الإسكندرية، (ط١) ١٩٦٨م.

العربي: إسماعيل (دكتور)

٤٢- المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٤م.

ثالثا: الدوريات والمجلات العربية

إلياس: علي قنبر (دكتور)

٤٣- أسرة بني غانية ودورهم السياسي والعسكري في التصدي لدولة الموحدين بالمغرب والأندلس (مجلة التربية والعلم المجلد ١٧ العدد ١ لسنة ٢٠١٠م الموصل).

عبد الحميد: سعد زغلول (دكتور)

٤٤- العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي وأبي يوسف يعقوب المنصـور، مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، (مج ٦-٧) ١٩٥٣م.

رابعا: الرسائل العلمية

الطنطاوي: وليد علي محمد (دكتور)

٤٥- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس من منتصف القرن السادس الهجري حتى منتصف القرن الثـامن الهجـري (رسالة دكتوراه غير منشورة) كلية دار العلوم — جامعة الفيـوم ٢٠٠٨م.

خامسا: المقالات الأوربية:

Brett: Michael

46- The Way of the Nomad, *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, University of London, Vol. 58,No. 2 (1995)

Martin : B. G.

47- Ahmad Rasim Pasha and the Suppression of the Fazzan slave trade, 1881-1896, Africa: Rivista trimestrale di studi e documentazione dell'Istituto italiano per l'Africae l'Oriente, Anno 38, No. 4 ,Dicembre, 1983.

48- Island of the Blest: Islam in a Libyan Oasis Community by J. P. Mason, African Affairs journal, Vol. 77, No. 309 (Oct., 1978).

49- Kanem, Bornu, and the Fazzan: Notes on the Political History of a Trade Route, The Journal

of African History, Vol. 10, No. 1 (1969).

50- Mai Idris of Bornu and the Ottoman Turks, 1576-78, International Journal of Middle East Studies, Vol. 3, No. 4 (Oct., 1972)

Thiry: Jacques:

51- Le Sahara Libyen Medieval, *Civilisations journal*, Vol. 38, No. 1, Aspects de L'Islam (1988)